صفحات مطوية من تاريخ الإسلام

تاريخ مباركشاه في أحوال الهند

تأليف

فخر الدين مباركشاه المروروزي

المتخلص بالفخر المدبر

دراسة وترجمة وتعليق

دكتورة

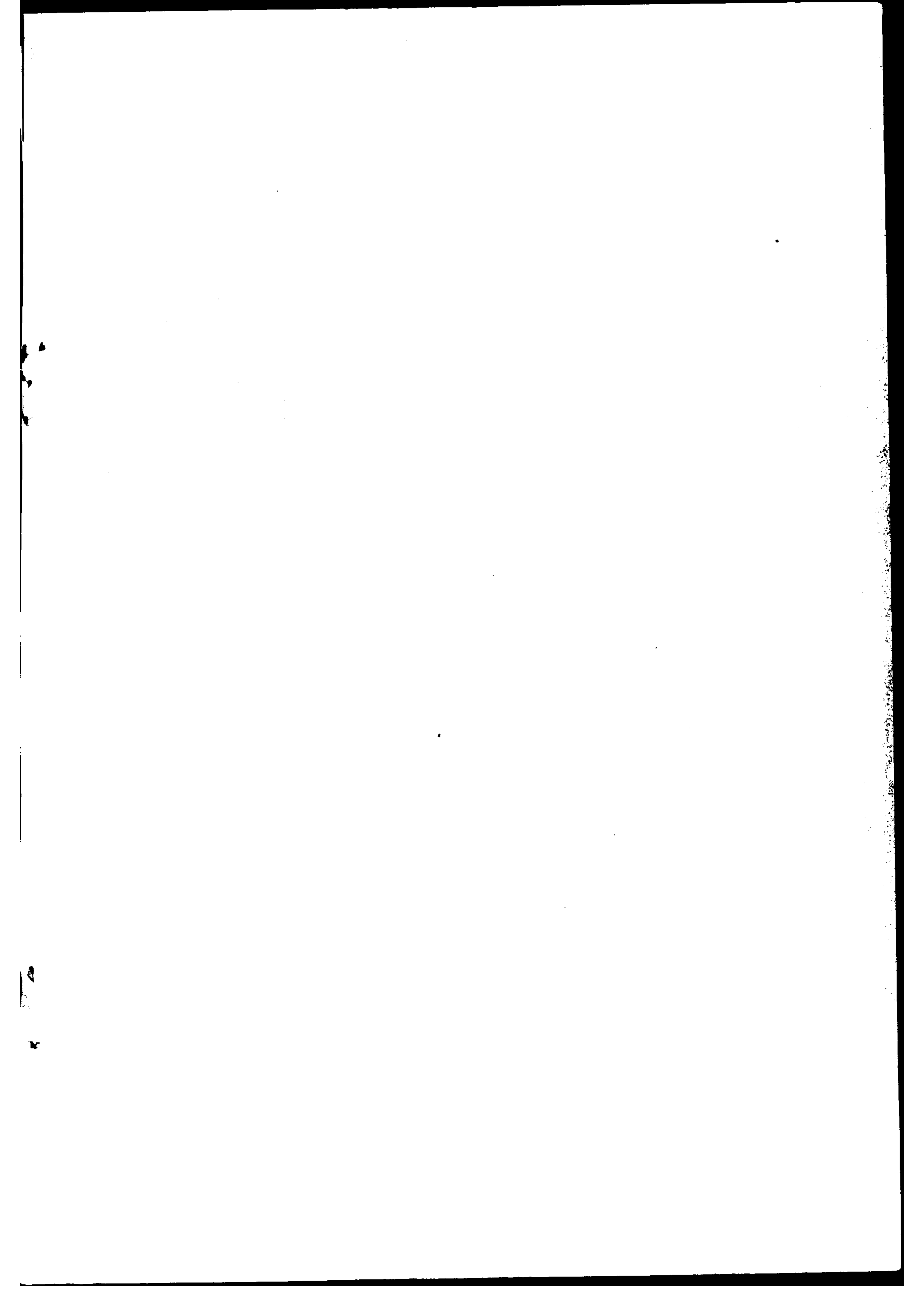
ثريا محمد علي

قسم اللغات الشرقية الإسلامية

كلية الألسن

الطبعة الأولى

١٤١٢هـ /١٩٩١م



کاغذهای پیچیده از تاریخ اسلام

تاریخ مبارکشاه اندر احوال هند

نگارش

فخر الدین مبارکشاه المروروذی

متخلص بفخر مدبر

ترجمه از زبان فارسی بزبان عربی باحواشی وتعلیقات

دکتر

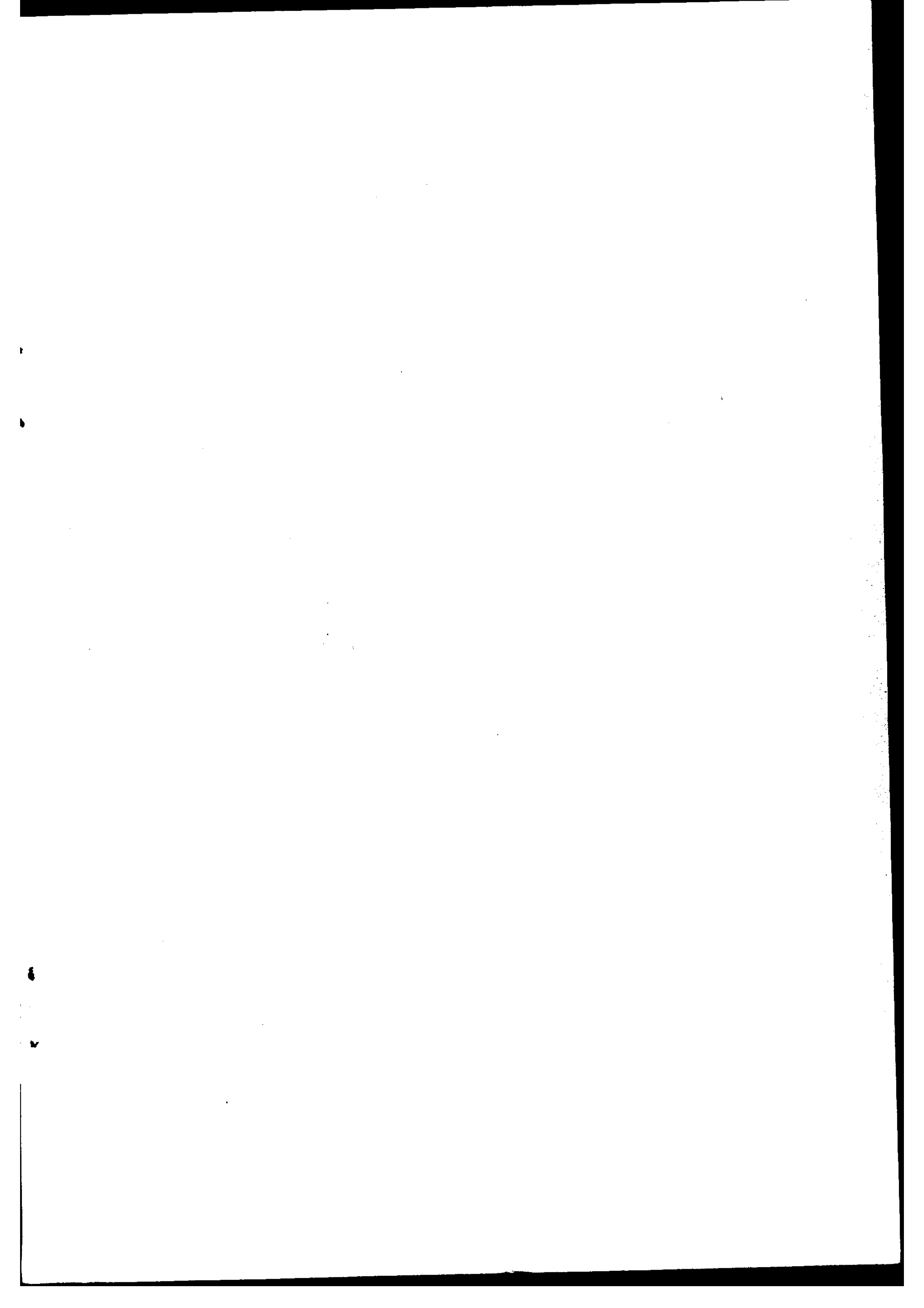
ثریا محمد علی

رشته زبانهای شرقی اسلامی

دانشکده السنه

چاپ اول

١٤١٢هـ.ق /١٩٩١م



إهـــداء

إلـــى الشهــــــداء

في كل زمان و مكان على طول التاريخ

والمدافعين عن الحق

دون خوف القتـــل أو اللـــوم والتوبيـــخ

ديباجـــه

بسم الله والحمد لله الواحد الأحد واهب النعم، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه اجمعين ومن اهتدي بهديه إلى يوم الدين... أما بعد.

رغم أن المكتبة التاريخية الإسلامية تذخر بالعديد من المؤلفات التى تحكى عن المجتمع الإسلامى على مر عصوره، ورغم العديد من أسماء المؤلفين قدماء ومحدثين؛ إلا أننا نجد صفحات مطوية بين دفتى كتاب التاريخ الإسلامى.. بعض هذه الصفحات قد سقط نسيانا أو اهمالا.. والبعض الآخر يحتاج إلى من يسلط عليه الضوء ليعيد إلى مسرح أحداثه حياة التاريخ وحركته.

ومن صفحات التاريخ المطوية التى تحتاج إلى تسليط الضوء عليها أكثر وأكثر قصة انتشار الإسلام في أسيا الوسطى والهند في العصور الإسلامية الأولى ودور بعض القاده المسلمين الذين مضوا بالإسلام إلى مناطق جديدة تدين لهم الآن بالوفاء والاعتراف بفضلهم في حمل مشاعل النور إلى مناطقهم التى كانت تعيش في الظلام. ومن هذه المناطق التركستان وشمال الهند وهى تقع الآن إداريا في بلاد مختلفة هى الجمهوريات السوفيتية وافغانستان وباكستان والهند وإيران.

إن مسلمى آسيا الوسطى والهند مدينين للغزنويين أولا ثم للغوريين بفضل استقرار الإسلام في مناطقهم خاصة في القرن السابع الهجرى. وإن كان هناك الكثير من المؤلفات التى تحدثت عن انتشار الإسلام على يد الدولة الغزنوية، إلا أن دور الدولة الغورية في نشر الإسلام بالتركستان والهند مازال يحتاج إلى القاء الضوء والدراسة، واحسبنى أتقدم بخطوة على هذا الدرب بترجمة كتاب مباركشاه في أحوال الهند إلى العربية، وادعو الله أن تساندها خطوات أخرى تضئ صفحة التاريخ الإسلامى في القرن السابع وقصة انتشار الإسلام في آسيا.

والدولة الغورية هى أحدى الدويلات الإسلامية التى قامت بدور نشر الإسلام في المناطق الجبلية المعروفة بغورستان -تقع الآن في جمهورية افغانستان- وكذلك في منطقة التركستان -تقع الآن في روسيا- وأيضا في لاهور -تقع الآن في باكستان- وكانت عاصمة هذه الدوله هى فيروزكوه في شورستان ثم انتقلت الدولة الشورية من فيروزكوه إلى لاهور على يد احد مماليك الغوريين ويدعي قطب الدين ايبك الذى تلقب بالسلطان.

وتسمي هذه الدولة أحيانا في كتب التاريخ الإسلامي بدولة المماليك في الهند نظرا لأنها انتقلت على يد أحد مماليك الغوريين وفي أحيان أخري تعرف بالغور الشنسبانيه، ولذلك تختلط الأخبار وتتداخل أحيانا فيشتد مع هذا التداخل ضرورة الدراسة والبحث لالقاء مزيد من الضوء على هذه الدولة ودورها في غورستان ولاهور.

وفي هذا الكتاب قسمين الأول في فصلين للتعريف بأهمية كتاب "تاريخ مباركشاه في أحوال الهند"، والثانى في التعريف بمؤلفه فخر الدين مباركشاه المتخلص بالفخر المدبر.

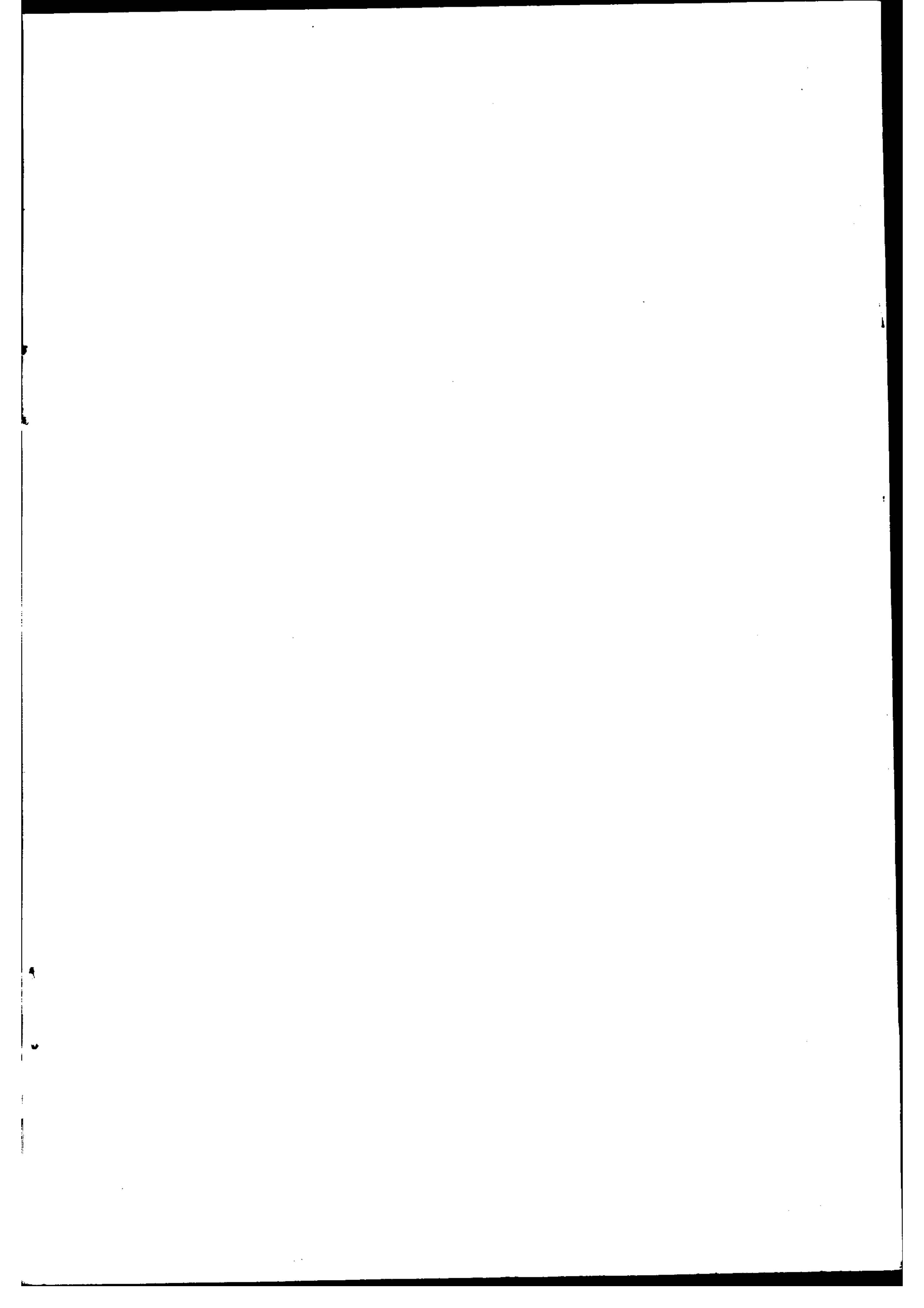
أما القسم الثانى فهو نص الترجمة العربية عن النص الفارسي للكتاب وحاولت قدر جهدي أن أوضح النص بالحواشي والتعليقات علنى افيد به المكتبة التاريخية العربية بأحد المصادر الأصلية للتاريخ الإسلامي.

ودعائى العميق لله بأن يجعل من هذا العمل عملا خالصا لوجهه وأن يحقق به الفائدة المرجوه لصالح الإسلام والمسلمين.

وعلى الله قصد السبيل

د/ ثريا محمد علي
مصر الجديدة
سبتمبر ١٩٩١

القسم الأول



الفصل الأول

وصف الكتاب وأهميته

وصف الكتاب وأهميته

قام المستشرق الإنجليزي ادوارد دنيسون روس E.Denison Ross بتحقق النسخة الوحيدة من مخطوط تاريخ مباركشاه في أحوال الهند في عام ١٩٢٧م، ونشر هذا المخطوط بعد أن أضاف إليه مقدمة وتعليقات تشرح المتن، وعرّف في مقدمته بالمؤلف فخر الدين مباركشاه المروروذي وإن كان قد اختلط عليه الأمر بين مؤرخنا مباركشاه والمتخلص بفخر مدبر وبين شاعر غوري عاش في نفس الفترة وحمل نفس كنية ولقب مؤرخنا(١).

وكتاب فخر الدين مباركشاهفي أحوال الهند صغير الحجم من القطع المتوسط ويقع في أربعة وثمانين صفحة مضافا إليه مقدمة وتعليقات المستشرق الإنجليزي روس.

ويظهر جليا من النسخة التى بين أيدينا انها غير تامة، فقد وردت عبارة في ختام متن الكتاب(٢) تفيد وجود خريطة للتركستان وماوراء النهر غير أن هذه الخريطة غير موجودة وأفاد المصحح وجود بياض في بقية الصفحة مما يدل علي أن ناسخ المخطوط قد أهمل نقل هذه الخريطة. كذلك يشار في نهاية ديباجة الكتاب(٣) إلى تمام نص الكتاب وإلى أن بقية الكتاب عبارة عن مائة وست وثلاثون شجرة نسب، وهذه الأنساب ليست بين أيدينا أيضا.

ورغم هذا النقص المشار إليه إلا أن الكتاب المذكور بالغ الأهمية بما يحتويه من ألوان من المعارف والتواريخ والمعلومات والتي لم يسبق مؤرخ آخر مباركشاه في إيرادها أو الأشارة إليها.

---

(١) سيأتى مناقشة هذا الأمر في الفصل الثاني من هذا الكتاب.

(٢) انظر فخر الدين مباركشاه، تاريخ مباركشاه اندر احوال هند، بسعى ادوارد روس، لندن، ١٩٢٧، ص٦١.

(٣) نفسه، ص٨٤.

وقد ألف فخر مدبر كتابه بطريقة الأستطراد فلم يضع لأفكاره عناوينا جانبية أو قسّم كتابه إلى فصول أو أبواب، ولم يعتمد على طرق المؤرخين في التأريخ بالسنوات -وهو مايعرف بالطريقة الحولية- أو بأسماء الحكام أو الملوك، بل جاء كتابه أقرب إلى كتب الآمالي وهو مايمليه الكاتب على تلاميذه أو كاتبه فتأتي الأفكار بطريقة أقرب إلى الإستطراد دون ترتيب محدد أو منهج مدروس وحسبما يأت على ذهن الكاتب مما يعتقد أهميته لكتابه.

ويتضح من ديباجة الكتاب والتي قدم بها المؤلف لكتابه أن عنوان كتابه هو شجرة الأنساب حيث يقول: (... الملقب مباركشاه معروف بفخر مدبر اصلحه الله واعانه على طاعته كه مؤلف ومستخرج اين شجره وانسابست)(١).

وقد شرح في ديباجته تلك اهتمامه بتتبع الأنساب خاصة وانه سليل اسرة قرشية تصل بنسبه إلى أبي بكر الصديق.

وقد بدأ هذه الشجرة من الأنساب بالعشرة المبشرين بالجنة ثم الصحابة ثم من المهاجرين ثم من الأنصار؛ ثم جال بخاطره أن يتتبع نسب ملوك العرب من الغساسنة وحمير ثم نسب الشعراء ثم انحنى إلى ملوك العجم، وهكذا إذا ما اتم شجرة نسب انحنى إلى طائفة جديدة حتى وصل إلى آدم متتبعا أنساب العرب والعجم وملوكهم، وأمضى في هذا العمل أثنتا عشر سنة أخرج بعدها كتابه شجرة الأنساب

وهو -في أغلب الظن- عنوان الكتاب، أما العنوان الذي اشتهر به الكتاب وهو تاريخ

(١) تاريخ مباركشاه انتر احوال هند، ديباچه كتاب، ص٦٢.

مباركشاه في أحوال الهند، فهذا العنوان في الأغلب وصف لبعض ماجاء في الكتاب وهو يقصر عن ان يشمل مايحتويه الكتاب من معلومات هامة وإن كان يشير إلى أهم ما في الكتاب.

ويلى ديباجة الكتاب ورقتان تشتملان على نسب الرسول (ﷺ) وأيضا شجرة نسب مشاهير العالم؛ يضيف بعدهما المؤلف لمحة من تاريخ حواء وولادتها لأول طفل والذي اطلق عليه عبد الحرث. ومن الواضح من موضع قصة حواء وابنها عبد الحرث المذكورة بعد ديباجة الكتاب والتى لاتتفق مع مايليها من صفحات هى بداية الكتاب وهذه البداية تتحدث عن علم الفلك- إن هذه القصة قد ادمجت في ورقات منفصلة على المخطوط الأصلى دون أن تتفق في ترتيب أفكارها مع ما هو سابق أولاحق من كتاب مباركشاه. خاصة وأن مباركشاه قد تحدث في متن كتابه عن قصة استخلاف آدم في الأرض كما تروى في القرآن الكريم مستشهدا فيها بآيات القرآن ومرتبطا ارتباطا وثيقا بالنص القرآنى، فان كان من بين افكاره رواية قصة أبناء آدم وحواء فأن الموضوع المناسب لقصة أبناء آدم كان ولابد أن يأت بعد قصة استخلاف آدم في الأرض وهو مالم يحدث وانتقل منه مباركشاه إلى الحديث عن الأنبياء ودورهم في هداية البشر. علاوة على أن ماورد من تأريخ لقصة آدم وحواء خاصة قصة ابنتهما عناق والتى ذكر انها عاشت إلى عهد موسى عليه السلام يخالف في كثير من مواضعه ماجاء في القرآن الكريم من قصة البشرية بعد آدم وقصة طوفان نوح وهلاك من لم يؤمن بالله ونجاة المؤمنين. أضف إلى هذا أن منهج مباركشاه في التأريخ والذي ظهر من متن كتابه يوضح أن مباركشاه كان يورد الأخبار الموثقة والتى عاصرها أو سمع ممن عاصروها ممايدل على أنه كان يبتعد عن الأخبار التى تتسم بالأسطورية أو التى لاتتفق مع المنهج الواقعى في التأريخ. لذلك نرى أن الصفحات التى تلت الديباجة والتى ارخت لقصة حواء ومولودها الأول عبد الحرث وأيضا لأبناء آدم هى صفحات ليست أصلية في كتاب شجرة الأنساب لمباركشاه بل أضيفت ممن نسخها ظنا منه أنها تناسب محتوى الكتاب.

أما متن كتاب مباركشاه والذي اشتهر باسم تاريخ مباركشاه في أحوال الهند والذي نرجح أن اسمه الأصلى هو شجرة الأنساب فقد جاء كما سبق وأوضحناه بطريقة الاستطراد. وكانت بداية

الكتاب بالحمد والشكر لله؛ كعادة المؤرخين المسلمين، والحديث عن خلق الكون والسماوات السبع ثم تحدث عن اقاليم الفلك السبعة. تلى ذلك حديثه عن خلق آدم وقصة استخلافه في الأرض وعداء ابليس له مستشهدا في قصته بالقرآن الكريم، ثم تحدث عن الرسول ﷺ وعن مكانة الصديقين والشهداء، وهو في كل مايروى يستشهد بالقرآن الكريم أو الحديث الشريف حيث يمكن الاستشهاد. وهكذا ينزل مباركشاه متتبعا طبقاته فيتحدث عن العلماء ومكانتهم ثم الملوك أو أولو الأمر والمهام الموكولة إليهم خاصة انفاق الأموال وينعرج من هذا إلى الحديث عن مصارف الزكاة أو الصدقات شارحا كل سبيل تخرج فيه الزكاة من فقراء ومساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل، كذلك يذكر من المهام الموكولة للملوك انفاق خزائن الاحسان، وعمارة المساجد والمدارس والجسور.. وما إلى ذلك. وبعد هذه البداية الطويلة يبدأ مباركشاه في رواية تاريخه فيحدد له القرن السابع ويحدد له أيضا عصر الأمير شهاب الدين معز الدنيا والدين محمد بن سام الغورى ويذكر في عبارته مايفيد أنه يؤرخ لمحمد بن سام بعد وفاته. ويتحدث عن اتساع دولته والرفاهية والرخاء والأمن الذي نعم به شعبه.

يلي ذلك حديثه عن قطب الدين ايبك والذي كان مملوكا لمحمد بن سام واسس فيما بعد الدولة الغورية في الهند، فيتحدث عن نشأة قطب الدين ايبك محددا انه من الأتراك، وعن تعليمه وتربيته واهتمامه بالقرآن الكريم ثم التحاقه بخدمة الأمير محمد بن سام وتعيينه نائبا له على مدينة كهرام الهندية وبداية فتوحاته في الهند منذ عام ٥٥٨هـ والمدن التى تم فتحها والغنائم. ويوالى ذكر السنوات التالية والمدن التى فتحت في كل سنة مؤكدا على أن فتوحات قطب الدين ايبك كانت لخدمة الأسلام ونشره. ثم يذكر تعيين قطب الدين ايبك وليا للعهد على الهند من قبل شهاب الدين محمد بن سام الغورى، ثم يذكر وفاة شهاب الدين الغورى وتولى قطب الدين ايبك حكم الدولة الغورية في الهند ودخوله مدينة لاهور ونزوله بقصر همايون ملقبا بالملك وكان ذلك في يوم الثلاثاء الثامن عشر من ذى القعدة عام اثنين وستمائة. وبعد أن يشير مباركشاه إلى اصلاحات قطب الدين ايبك في الهند يتوقف عن التأريخ للحوادث السياسية وينعرج بالحديث إلى دخول الأتراك في الإسلام وحظوتهم وعزهم وحصولهم على الملك وقد كانوا عبيدا يباعون ويشترون، ويتحدث عن

اتساع رقعة التركستان وحدودها ثم منتجات التركستان من ثياب وعطور واسلحة، كذلك يتحدث عن ولاية تنكت وهى إحدى ولايات التركستان وكذلك ولاية تغزغز ويتحدث عن بعض المجتمعات البدائية مثل مجتمع غابة لور، ونظامه في التجارة ونظام التزاوج في غابة أخرى وطعامهم وحياتهم، وهى بلاشك إشارات اجتماعية غاية في الأهمية لدراسة النظام البدائى في حياة الغاب في التركستان في العصور الوسطى. كذلك يحكي بعضا من غرائب وعجائب التركستان وخصائص بعض معادنها، ثم يتحدث عن ديانات أهل التركستان من غير المسلمين وأفكارهم وأسماء الله عندهم. وينعرج من هذا إلى الحديث عن الخط التركى ويقسمه إلى نوعين السغدى والثانى التغزغزى.

ويذكر الحروف السغدية وعددها وأصواتها وكذلك الأبجدية التغزغزية وعددها ويشير إلى أن الأتراك قدعرفوا الشعر خاصة القصيدة والرباعى ويورد إحدى الرباعيات التركية. ثم يذكر ابجدية الروم الروس من أهل الخزر وعددها. ويترك الحديث عن الأبجدية التركية للحديث عن القبائل التركية واسماءها فيذكر اثنتا وستون قبيلة تركية معروفة على عهده مذكرا بأن القبائل التركية أكثر من هذا ولكن حصرها يعد من الأمور الصعبة.

ويهدف مباركشاه من حديثه عن الأتراك إعلاء شأن الملك قطب الدين ايبك وهو تركى الأصل حتى أنه يباهى به على من عداه من ملوك وأبطال مثل رستم واسفنديار، وكذلك يشيد بشجاعته ومهارته في استعمال السلاح والرمى، ويمدح سخاءه فيعلو به على اسخياء العرب والعالم، كذلك يمدح عدله ويقارنه بعدل انوشيروان وأيضا بصفات الخلفاء الراشدين وما اشتهروا به من عدل وسخاء وحلم. ثم يختم كتابه بالدعاء للملك قطب الدين ايبك، مما يؤكد أنه قد قدم كتابه إليه في لاهور بالهند بعد تأسيسه الدولة الغورية هناك، وكان ذلك في عام ٦٠٢هـ.

تاريخ تأليف الكتاب :

تشير أحداث كتاب شجرة الأنساب (تاريخ مباركشاه في احوال الهند) إلى أن مؤلفه قد انتهى منه في عام ٦٠٢هـ، وذلك لأن احداثه تنتهى عند هذا التاريخ.

كما تشير أيضا إلى أن الكتاب قد قدم إلى السلطان قطب الدين ايبك حاكم دهلى ولاهور من قبل الأخوين غياث الدين ومعز الدين محمد بن سام الغورى، وإن كانت مقدمة الفخر المدبر (مباركشاه) على الكتاب تعود به إلى سنوات طويلة قبل حكم قطب الدين ايبك، حيث فكر في تأليف كتابه وجمع أنسابه واضافة الجديد من الأنساب مع كل نسب ينتهى منه.

ويشير الفخر المدبر في كتابه إلى رواية حصوله على أوراق نسبه ونسب اسرته إلى أبى بكر الصديق من البلاط الغزنوى في عهد خسرو ملك بن خسروشاه الغزنوى محددا تاريخ الرواية بالعام الذي تم فيه فتح لاهور في العصر الغزنوى وهو عام ٥٧٧هـ.

وبالنظر إلى التاريخ المذكور لفتح لاهور وتاريخ انتهاء احداث الكتاب نلاحظ أنه قد مضى مدة خمسة وعشرون عاما بين تفكير الفخر المدبر في تأليف كتاب الأنساب وبين تقديمه إلى الحاكم القائم بالحكم في تلك الفترة وهو قطب الدين أيبك الغورى.

غير أننا نجد رواية للمؤرخ منهاج سراج في كتابه طبقات ناصرى(١) تشير إلى أنه سمع من الملكة (جلالى) ان فخر الدين مباركشاه اراد تقديم كتاب الأنساب (نسبنامه مباركشاهى) باسم السلطان علاء الدين حسين جهانسوز ولكنه عدل عن هذا الأمر لتغير في مزاجه وأهمل هذا النظم حتى عصر غياث الدين محمد بن سام ثم قدمه إليه. ومن الواضح هنا امكان حدوث التباس بين ما تقدم ورواية منهاج سراج؛ فكيف يفكر فخر الدين مباركشاه في تقديم النسبنامه إلى السلطان علاء الدين حسين جها نسوز الحاكم الغورى الذي حكم في الفترة بين عام ٥٤٤هـ إلى عام ٥٥١هـ(٢)، ثم يعدل عن تقديمه ويقدمه كما يتضح من الرواية إلى غياث الدين محمد بن سام، ثم تأتى أحداث كتاب شجرة الأنساب لتفيد تقديمه إلى قطب الدين أيبك.

---

(١) طبقات ناصري، جلد دوم، ص٣١٩.

(٢) طبقات ناصرى، جلد دوم، ص٣٢٢.

ويعود هذا الالتباس إلى أننا بصدد شخصين يدعيان فخرالدين مباركشاه وكلاهما اهتم بالنسب الغورى ولكن أحدهما شاعر عاش في البلاط الغورى ونظم رساله نسب شعرية للأسرة الغورية وهي ماتم تقديمه للسلطان غياث الدين محمد بن سام، وتؤكده رواية منهاج سراج حيث ذكر أن النسبنامه كانت شعرا حينما قال (...اين نظم را مهمل بگذاشت)(١)

أما الآخر فهو مؤرخ يدعى أيضا فخر الدين مباركشاه، ولكنه يتخلص بالفخر المدبر وقد كتب مؤلفا نثريا عن الأنساب اشتمل على النسب الغورى بالإضافة إلى انساب أخرى.

أسلوب الكتاب :

اسلوب الكتاب ينتمى إلى المرحلة الثانية من مراحل تطور النثر الفارسى كما وضحها محمد تقى بهار(٢) في كتابه وهى مرحلة تبدأ من أواسط القرن السادس الهجرى وحتى القرن الثامن الهجرى وتتميز باتجاه النثر الفارسي إلى النثر الفنى وقد نما في هذه المرحلة اسلوبين الأول يتميز بالبساطة والنثر المرسل ويحتوى على مترادفات، أما الأسلوب الثانى فيعتمد على النثر الفني المسجوع وإن كان الأسلوبان يخلوان من الصناعة اللفظية.

ولاشك في أن كتاب مباركشاه ينتمى إلى الأسلوب الأول من هذه المرحلة، فهو يمتاز بالبساطة وعدم التعقيد اللفظى وكثرة المترادفات، ويحتوى على كثير من الألفاظ العربية، مثال ذلك ماورد في استفتاح الكتاب من الفاظ:

(آثار قدرت، صفحات دهور وأيام، برهان حكمت، درجات شهور وأعوام، اصناف صنائع شواهد سلطانيت، أنواع بدائع دلائل وحدانيت، اولى، آخرى، جوهر وعرض، موجودى دليل

---

(١) منهاج سراج، طبقات ناصرى، ص٣١٩.

(٢) سبگ شناسى، جلد اول، تهران، ص٢٨٦.

وحدانيت، معبودى دليل عزت، عرش عظيم، صخرة صماء، تحت اشياء، ميدان هوا)(١).

فإذا ما اوضحنا أن الألفاظ العربية السابقة وغيرها أيضا قد وردت في صفحة واحدة من استفتاح الكتاب لعرفنا مدى غلبة الألفاظ العربية على أسلوب الكتاب.

وهناك ملاحظات أخرى على أسلوب الكتاب منها اللغوى وغيره نوضحها في النقاط التالية:

أولا: استعمل مباركشاه في بعض مواضع من كتابه الأداه [بر] بمعنى [با] مثال ذلك: (...تا دل برمسلمانى ثابت دارند، وبر آن ثبات كنند، چون دل ايشان بر مسلمانى بيارامید)(٢).

ثانيــا: أضاف مباركشاه (سين) زائده على الفعل في صيغة الماضى القديم -ولاندرى اي صيغ الماضى يقصد ويغلب الظن أنها النقلى، مثال ذلك عبارته (هميشه پادشـاهى كردستى..)(٣) واضافة السين هى لهجة اهل نيسابور مثال ذلك (خردستى، گفتستى، خفتستى) وقد أوضح هذه اللهجة وشرحها المقدسى في كتابه احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم(٤).

ثالثـا: كذلك يضيف الباء على الفعل لتوكيده، ويضع الياء في نهاية الفعل بدلا من (مى) في اوله في صيغة المضارع الاخبارى؛ فيقول: (بدانندى) بدلا من (مى دانند)، (سازندى) بدلا من (مى سازند)، و(بيايندى) بدلا من (مى ايند)، و(حاصل كنندى) بدلا من (حاصل مى كنند)، و(گردانندى) بدلا من (مى گردانند)، و(بديدندى) بدلامن (مى ديدند)(٥). وإضافة الباء على الفعل من لغة نيسابور أيضا، لذلك يبدو أن مباركشاه قد

---

(١) تاريخ مباركشاه، ص١.

(٢) نفسه، ص١٥.

(٣) تاريخ مباركشاه اندر احوال هند، ص٣٣.

(٤) المقدسى: احسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، الطبعة الثانية، ليدن، ١٩٠٦، ص٣٣٤. پرويزناتل خانلرى، زبان شناسى وزبان فارسى، طبعة دوم، تهران، ١٣٦٦ش، ص٧٢.

(٥) تاريخ مباركشاه، ص٤٩.

تأثر بلهجة نيسابور في فارسيته، وقد يكون هذا لنشأة قديمة بها أو لأحد والديه، وهذا التأثير واضح جدا من هذا المثال والذي سبقه. أما استعماله الياء في نهاية الفعل محل (مى) الاستمرارية فقد عرفناه في صيغة الماضى الناقص.

رابعا: يستعمل الفعل (سياست فرمودن) بدلا من (كُشتن) بضم اوله، وهو فعل ليس متداول بكثرة في الفارسية ولم تشر إليه القواميس الفارسية التى بين ايدينا، وهذا يتضح من العبارة التالية: (بسيار باشد كه پاد شاهان سياست فرمايند وچون خشمشان كم شود ازكرده پشيمان شوند)(١).

خامسا: يستشهد الكاتب في كثير من مواضع الكتاب بالقرآن الكريم والحديث الشريف والشعر العربى والأقوال المأثورة. مما يدلل على ثقافة الكاتب العربية، ولاعجب في هذا لأن مباركشاه - كما صرح بنفسه- ينتسب إلى أبى بكر الصديق، مما يؤكد معرفته بالعربية.

سادسا: وقع مصحح الكتاب المستشرق ادوارد روس E.D.Ross في أخطاء كثيرا مايقع فيها النساخ وقد اثبتها روس دون تصحيح مثال ذلك :

أ- الأحور نامسيت	والصواب	الأحورناميست(٢)
ب- وهر جوهرى را	والصواب	هر جوهرى را(٣)
جـ- ثابت وشيرين نشده	والصواب	ثابت وشديد نشده(٤)
د- رُذاله (بضم الراء)	والصواب	رذاله (بفتح الراء)(٥)
هـ- جمله عئ غنايم	والصواب	جمله فئ وغنايم(٦)

---

(١) تاريخ مباركشاه اندر احوال هند، ص٥٣.

(٢) نفسه ص٢

(٣) نفسه ص٦

(٤) نفسه ص١٥

(٥) نفسه ص٢٠

(٦) نفسه ص٢٨

و- شتور	والصواب	شتر(١)
ز- قندوز	والصواب	قندز(٢)
ح- سغور	والصواب	سغور(٣)
ط- سردسيل	والصواب	سردسير(٤)
ى- بيالاَيند	والصواب	بيالاَيند(٥)
ك- بنازند	والصواب	بتازند(٦)
ل- غا	والصواب	عا(٧)
م- پّران	والصواب	پران(٨)
ن- محضرمون	والصواب	مخضرمون(٩)

وتشير بعض هذه الملاحضات إلى موضوع هام من مجالات البحث في اللغة الفارسية وآدابها؛ ألا وهو دراسة اللهجات الفارسية خاصة في القرون الأولى التى أعقبت تأثر الفارسية باللغة العربية وتحول حروفها من الحروف البهلوية القديمة إلى الحروف العربية. كذلك التحولات التى طرأت على اللهجات الفارسية لتنصهر في لهجة فارسية مقدمة على غيرها هى اللهجة الدرية والتى سادت فيما بعد واصبحت لها السيادة نطقا وكتابة وعرفت بها الفارسية في العصور الإسلامية التالية.

فمثلا الملاحظة التى تتحدث عن اخطاء الكتاب، يتضح منها أن الخطأ جاء من تشكيل الكلمة

(١) تاريخ مباركشاه، اندر احوال هند، ص٣١.
(٢) نفسه ص٣٨
(٣) نفسه، نفس الصفحة.
(٤) تاريخ مباركشاه، ص٤١.
(٥) مباركشاه، ص٤١،٤٢.
(٦) نفسه، ص٤٢.
(٧) نفسه، ص٤٥.
(٨) نفسه، ص٤٩.
(٩) نفسه، ص٦٤.

مثل (رزالة) بالضم أو الفتح، وقد يرجع هذا لاختلاف اللهجة بين القرن السابع وماهو مستعمل في الفارسية اليوم.

كذلك بعض الكلمات مثل (شتور، قندوز) من اقلات الضمة واوا، وقد يرجع هذا أيضا للهجة فارسية قديمة ظهرت في كتاب مباركشاه وهى جديرة ولاشك بتتبع هذه اللهجات ودراستها وتوضيحها.

أهميته

أما أهمية كتاب شجرة الأنساب الشهير بتاريخ مباركشاه في أحوال الهند فتتعدد بين مجالات علمية كثيرة، نحاول أن نحصرها في النقاط التالية:

أولا: يمثل كتاب تاريخ مباركشاه نموذجا لتطور النثر الفارسي خاصة المرحلة الثانية منه، وذلك لوضوح لهجة نيشابور الفارسية في الكتاب، ومما يشير إلى الكثير عن اختلاف اللهجات الفارسية في القرن السابع الهجرى، ثم انصهار هذه اللهجات الفارسية القديمة في اللهجة الدرية لتصبح الفارسية الحديثة.

ثانيا: من الناحية التاريخية يمثل كتاب تاريخ مباركشاه أو شجرة الأنساب رواية معاصر وشاهد عيان لأحد الدول الإسلامية وهى الدولة الغورية ودورها في انتشار الإسلام في الهند، خاصة وأن أغلب المصادر التى تحدثت عن هذه الدولة قد اعتمدت من جانب على مارواه مباركشاه، أو كان مؤرخيها بعيدين في المكان أو الزمان عن الدولة الغورية، ناهيك عن أن المرحلة التى روى فيها مباركشاه تاريخه كانت مرحلة فاصلة في حياة الدولة الغورية بين وجودها في غورستان ثم انتقالها إلي الهند.

ثالثا: لاشك في أن كتاب مباركشاه يوضح جانبا من علم الفلك المعروف على عهده، وتقسيم الفلكيين للسماء والبروج، وهذا جانب يوضح لدارس علم الفلك تطور هذا العلم منذ القرن السابع الهجري وما قد شابه من اخطاء أو معرفة بالبروج والكواكب والنجوم.

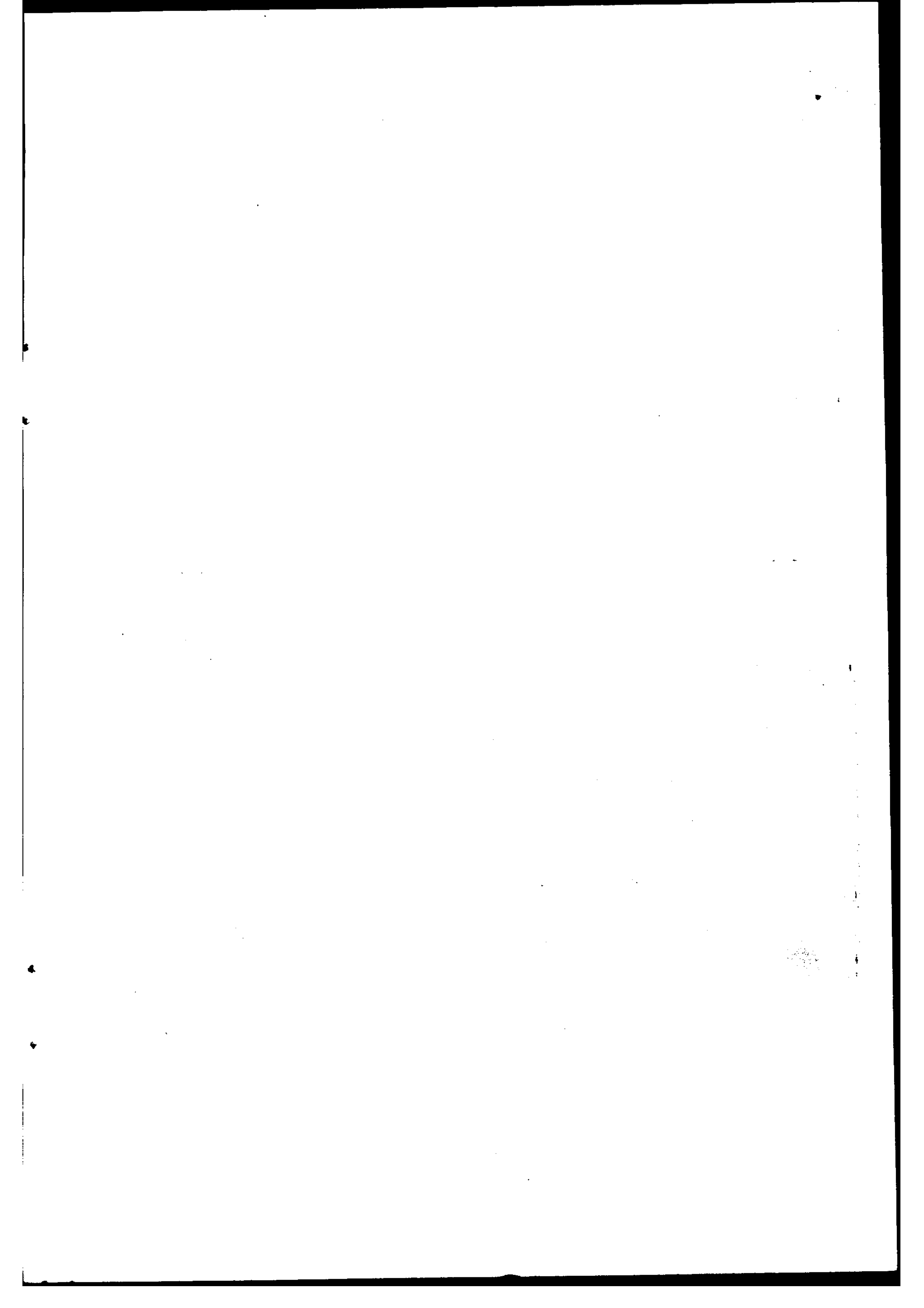
رابعا: كان حديث مباركشاه عن الخط التركى وأنواعه واسماءه واصواته جد هام لدراسة تأثير الإسلام ولغته العربية على لغات الشعوب التى دخلته، فبدلت من ابجديته وبعض اصواته وهي دراسة هامة جدا إذا ما كان تأثير العربية والتى هى إحدى اللغات السامية قد امتد إلى لغات تنتمى إلى مجموعة اللغات الهندواوربيه، خاصة وأن مباركشاه كان يتحدث في زمن قريب لدخول هذه الشعوب في الإسلام، مما يشير إلى أن حديثه يمثل بداية تحول هذه اللغات وتأثرها باللغة العربية، ولاشك في أن لغات التركستان جديرة بالدراسة المقارنة مع ماوصلت إليه الآن من تطور.

خامسا: كان حديث مباركشاه عن القبائل التركية وعاداتها في الزواج والتجارة، خاصة بعض القبائل البدائية في التركستان والتى حددها بغابة لوره وما جاورها من غابات يمثل جانب حضارى اجتماعى يشير إلى العادات الاجتماعية البدائية وهى معلومات جد هامة للدراسات الانثروبولوجية، وأيضا المعلومات التي تحدث فيها عن ديانات القبائل التركية ومعرفتهم لاسم الله والرسول واليوم العظيم والأخره والجنة أو الجنان الثمانية والنيران السبع والحساب.

سادسا: يشير كتاب مباركشاه إلى البضائع واسماءها وهو جانب حضارى يوضح أنواع الملابس والأغذية والمعادن الموجودة في التركستان، وأهمية ماذكره مباركشاه ترجع إلى أن اهتمام المؤرخين العرب بالتركستان في العصور الوسطى كان قليلا ولا يبلغ اهتمامهم بمناطق أخرى مثل خراسان أو فارس أو كرمان، كما أن المنطقة لم تحظ بدول كبرى تبلغ شأنا عاليا مثلما حدث في المناطق السابق ذكرها خاصة في القرون الإسلامية الأولى مما جعل اغلب المؤرخين يغفلونها أو يشيرون إليها اشارات مقتضبة قليلة لاتشبع النهم العلمى لمعرفة احوال هذه المناطق بالتفصيل من الناحية الاقتصادية أو التجارية او الصناعية.

سابعا: يشير المؤلف في مواضع متفرقة من الكتاب إلى قضايا دينية مثل استخلاف آدم في الأرض وعداء ابليس للبشرية وقضايا أخرى تدخل في نطاق الفقه السياسي مثل مهمة الملوك والحكام في رعاية شئون الرعية وتيسير الحياة لهم وحل مشاكلهم. هذه القضايا الدينية تضيف بعدا دينيا مهما للكتاب ودلالة واضحة على ثقافة مؤلفه الدينية.

الفصل الثانى



الفصل الثانى

التعريف بفخر الدين مباركشاه

التعريف بفخر الدين مباركشاه

أوضح المؤلف في ديباجة كتابه شجرة الأنساب المعروف بتاريخ مباركشاه في أحوال الهند أن اسمه هو: محمد بن منصور بن سعيد بن أبى الفرج بن الجليل بن أحمد بن أبى نصر بن خلف بن أحمد بن شعيب بن طلحة بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبى بكر الصديق(١).

لقبه: مباركشاه، وكنيته فخر الدين، وتخلصه: فخر مدبر.

كما ذكر نفس الأسم والنسب في كتاب آخر له هو "آداب الحرب والشجاعة"، وكان الاختلاف الطفيف انه ذكر نسبه إلى "ابن الجليل" في كتابه شجرة الأنساب، وذكره "ابن الخليل" في كتابه آداب الحرب والشجاعة، ومن الواضح أنه خطأ من النساخ بين الجيم والخاء لايعوّل عليه، وان كان يثبت أن الكتابان لمؤلف واحد هو الفخر المدبر المعروف بفخر الدين مباركشاه.

ويظهر جليا من النسب المذكور انه قرشي الأصل ينتسب إلى أبى بكر الصديق عبر اثنى عشر جد، ويبدو أن اسرته قد انتقلت إلى المشرق الإسلامى منذ ا لقرون الأولى للإسلام لأنه يذكر نسبه إلى ابى مسلم الخراسانى بقوله: "... وأبو مسلم صاحب دولت عباسيان كه از اسلاف مؤلف كتابست)(٢)، كما يذكر جده ابى الفرج خليل كخازن في بلاط السلطان الغزنوى ابراهيم بن مسعود وقد ذاع صيت هذا الجد حينما استطاع ان يجتاز ازمة القحط في غزنين بحسن تدبيره على عهد السلطان إبراهيم. كما يذكر الصلة الوثيقة التى كانت بين جده ابى الفرج والسلطان الغزنوى ابراهيم بن مسعود.(٣)

والده هو منصور بن سعيد وهو من العلماء، عمل بالتدريس وقد اشار مباركشاه إليه في ديباجته بقوله: (... چون اين شجره سواد شد پدر ومخدوم دعا گوى كه از جمله علمـاى ذو فنـون

(١) تاريخ مباركشاه اندر احوال هند، تصحيح روس، ص٦٢.

(٢) فخر الدين مباركشاه، آداب الحرب والشجاعة، تصحيح أحمد سهيلى خوانسارى، تهران، ١٣٤٦ش، ص٢٦٦.

(٣) بالتفصيل ارجع إلى آداب الحرب والشجاعة، ص١٠٤، ١٠٧.

بسيار علم كامل فضل متبحر بود وبيست واند نوع علم بادقائق وغوامض وغرايب ومشكلات آن نيكو وتمام بدانستي، واستاد ائمه هر دو حضرت وديگر قصبات ومراحل كه در ميان دو حضرت است بود وجمله ائمه وقضات وخطباء كه درين مواضع بودند وطائفه كه، هنوز هستند درپيش خدمت او بتعليم زانو زده اند واز علم او چيزى بحاصل كرده وفائده گرفته)(١).

وتشير الديباجه إلى أن والد مباركشاه كان بقيد الحياة بعد انتهاء مباركشاه من كتابه شجرة الأنساب ولذلك، فقد عرضه عليه قبل تقديمه إلى السلطان قطب الدين ايبك في لاهور بالهند عام ٦٠٢هـ. ولاشك في أن الاب كان قد تعدي الستين من عمره في هذا التاريخ -إن لم يكن أكثر من ذلك- ولاشك أيضا أن ابنه -مباركشاه- كان قد تعدى الأربعين، وهو الذي صرح بانه امضى اثنتا عشر سنة من عمره في تأليف كتابه شجرة الأنساب، مما يشير إلى أنه ولد مع بدايات النصف الثاني من القرن السادس اى حوالى عام ٥٥٠هـ أو في بضعة سنوات تلت هذا التاريخ. أما أحمد سهيلى خوانسارى(٢) فقد رجح في مقدمته على كتاب آداب الحرب والشجاعة أن مباركشاه قد ولد في الفترة بين عام ٥٢٥هـ وعام ٥٣٥هـ، اي كان عمره حينما قدم كتابه عام ٦٠٢هـ بين سبع وسبعون عاما اوست وستون، فإن كان هذا عمر مباركشاه، فما هو عمر والده في عام ٦٠٢هـ؟!

لاشك في أنه سيتجاوز الست والثمانون أو الست والتسعون عاما، فإن كانت اشارة مباركشاه في ديباجته، توضح أن والده كان مازال قائما بالتدريس والتعليم ويجلس إليه الطلاب بغية العلم وكان يستطيع مراجعة ومطالعة كتاب شجرة الأنساب نجد أنه من الصعب ان تنسب هذه الأعمال إلى من جاوز الثمانين أو التسعين من عمره، لذلك فمن الجائز أن الصواب قد جانب أحمد سهيل خوانسارى في التاريخ الذي حدده لمولد فخر الدين مباركشاه. وقد يرجع هذا إلى أنه اعتمد في حسابه على تاريخ تولية خسر وملك ابن خسروشاه الغزنوى آخر ملوك الدولة الغزنوية وهو عام ٥٥٩هـ والذي ذكره مباركشاه في مقدمته على كتابه شجرة الأنساب موضحا انـه ذهب إلى بلاطـه

(١) تاريخ مباركشاه اندر احوال هند، ص٦٨، ٦٩.

(٢) آداب الحرب والشجاعة، المقدمة، ص٦.

للحصول على شجرة نسبه الموجودة في البلاط الغزنوي، وقد حدد مباركشاه تاريخ رحلته للبلاط الغزنوى بالعام الذي فتح فيه خسرو ملك مدينة لاهور وكان ذلك في عام ٥٧٧هـ.

ولما كان محتوى كتاب مباركشاه يتضمن في احداثه قيام الدولة الغورية في الهند على يد قطب الدين ايبك وذلك عام ٦٠٢هـ، إذا فمن المؤكد أن كتاب شجرة الأنساب لم يقدم إلا بعد هذا التاريخ أو فى نفس هذا العام الذي انتهت فيه احداث الكتاب وهو عام ٦٠٢هـ، كذلك صرّح مباركشاه في ديباجته بانه امضى في هذا العمل اثنتا عشر سنة ليخرج انسابه (... ومدت دوازده سال در آن روزگار صرف افتاد كه اين انساب كه اينجا جمع شده است)(١).

فمعنى ذلك أنه قد بدأ تأليف كتابه حوالى عام ٥٩٠هـ أى بعد أسر خسرو ملك على يد محمد بن سام الغورى عام ٥٨٣هـ.

فمن الجائز إذا انه قد حصل على شجرة انسابه في عام ٥٧٧هـ واحتفظ بها لتلهمه فيما بعد تأليف كتابه شجرة الأنساب والذي بدأ كتابته فعلا عام ٥٩٠هـ على وجه التقريب. فاذا أضفنا أن مباركشاه قد ذكر السلطان خسرو ملك بن خسرو شاه الغزنوي مضيفا إليه عبارة (برد الله مضجعه) مفيدا بذلك وفاته، والمعروف من المصادر(٢) أن وفاته كانت بتاريخ ٥٩٨هـ فليس من المستبعد أن يكون تاريخ تقديم كتاب مباركشاه بعد هذا التاريخ، وقد يكون عام ٦٠٢هـ وهو العام الذي انتهى فيه من رواية أحداث كتابه.

واغلب الظن أن تضارب التواريخ الخاصة بمباركشاه تعود إلى أن المصادر تحكى عن اكثر من شخص يدعى مباركشاه(٣)، بل وعاش في نفس الفترة ونسب إلى الغوريين وايضا كان لأحدهما

---

(١) تاريخ مباركشاه، ص٦٧.

(٢) عباس پرويز، ديالمه وغزنويان، تهران، ١٣٣٦، ص٣٦٣.

(٣) انظر دهخدا، لغت نامه، زير نظر محمد معين وسيد جعفر شهيدى، بخش اول، شماره مسلسل ١٩٥، شماره حرف (م) تهران، ١٣٥٢هـ.ش، ص٢٠٩.

نفس الكنية واللقب، فالمصادر تتحدث عن الشاعر فخر الدين مباركشاه بن الحسن -أو الحسين- المرورزى والذي عاش في بلاط معز الدين وغياث الدين الغورى صاحبا غزنه وهرات وينسب إليه منظومة في نسب السلاطين الغور نظمها في بحر المتقارب(١) وينسب ابن الأثير(٢) إلى الفخر مباركشاه الشاعر الفضل فى تحول غياث الدين صاحب غزته من مذهب الكرميه إلى المذهب الشافعى وذلك فى حوادث سنه ٦٠٢هـ قائلا: "...وفيها فى شوال توفى فخر الدين مبارك شاه بن الحسن المرورزى وكان حسن الشعر بالفارسيه والعربية وله منزلة عظيمة عند غياث الدين الكبير صاحب غزنه وهراة وغيرهما وكان له دار ضيافة فيها كتب شطرنج فالعلماء يطالعون الكتب والجهال يلعبون بالشطرنج ." (٣) ويشارك المؤرخ منهاج السراج (٤) صاحب كتاب طبقات ناصرى ابن الأثير فى تحديد تاريخ وفاة فخر الدين مباركشاه بن الحسن المرورزى بعام ٦٠٢هـ فى شهر شوال .

أما المستشرق ادوارد روس فقد وقع فى مقدمتة على كتاب تاريخ مباركشاه فى خطأ الخلط بين شخصيتى الشاعر فخر الدين مباركشاه والمؤرخ فخر الدين مباركشاه، وظن ان ابا الحسن - أو ابن الحسين- التى وردت فى اسمه كانت كنية والده .(٥)

ولاشك فى اننا لدينا هنا شخصيتين تدعيان فخر الدين مباركشاه أحدهما شاعر توفى فى شوال عام ٦٠٢ هـ والأخر مؤرخ كان مازال حيا فى ذى القعدة من عام ٦٠٢ هـ وروى لنا فى تاريخه فى احوال الهند نزول قطب الدين ايبك بقصر همايون فى لاهور (٦) فى التاريخ المذكور، وقد تخلص كما صرح بنفسه بفخر مدبر وهو نفسه الذى قدم كتابه آداب الحرب والشجاعة باسم السلطان شمس الدين ايلتتمش حاكم لاهور بعد قطب الدين ايبك، وكان حكم التتمش فى الفترة بين عـــــام ٦٠٧هـ

(١) مباركشاه، آداب الحرب والشجاعة، مقدمه خوانسارى، ص٧. دهخدا لغت نامه، ص٢٠٩.

(٢) الكامل في التاريخ، الجزء التاسع الطبعة الرابعة بيروت، ص٢٤٨.

(٣) ابن الاثير ، الكامل،ج٩،ص٢٨٤.

(٤) طبقات ناصرى، جلد اول، چاپ دوم، ص٣٩٧.

(٥) أنظر مقدمة روس على تاريخ مباركشاه اندر احوال هند، ص VI

(٦) تاريخ مباركشاه اندر احوال هند، ص ٣١، ٣٢.

وحتى ٦٣٣هـ. وبعبارة أخرى كان المؤرخ فخر الدين مباركشاه والمتخلص بفخر مدبر مازال حياً حتى عام ٦٠٧هـ وهو العام الذى تولى فيه التتمش الحكم، مما يوضح اننا بصدد شخصيتين تدعيان فخر الدين مباركشاه احدهما شاعر والأخرمؤرخ وقد نبهنا إلى احتمال هذا الخلط دهخدا(١) فى موسوعته قائلا: (نبايد ابن مباركشاه شورى معروف به فخر مدبر را بافخر الدين مباركشاه بن حسين مرورودى اشتباه كرد.)

وقد عاشت كلتا الشخصيتين فى البلاط الغورى، لكنه من المرجح ان الشاعر فخر الدين مباركشاه والمتوفى عام ٦٠٢هـ قد عاش فى فيروز كوه عاصمة الدولة الغورية فى غورستان فالمصادر تتحدث عن سلسلة النسب الغوريه التى نظمها شعراً فى بحر المتقارب والتى ذكر جانباً منها محمد عوفى ومعين الدين اسفزارى فى كتابيهما(٢) وقد مدح فيها سلاطين الغور ممن حكم فى غورستان فى حين عاش المؤرخ فخر الدين مباركشاه المتخلص بفخر مدبر فى لاهور بالهند أو انتقل اليها فى عام ٦٠٢ هـ وعاش فى ظل الدولة الغوريه بالهند وقدم كتابه " آداب الحرب والشجاعة" إلى السلطان ايلتتمش، ويرجح خوانسارى انه قدمه إليه فى عام ٦٢٦هـ أو ٦٢٧هـ لان مباركشاه ذكر ايلتتمش فى مقدمتة بلقب ناصر امير المؤمنين وكان هذا اللقب قد منحه له الخليفه العباسى المستنصر بالله فى عام ٦٢٦هـ .(٣)

ولا ندرى على وجه الدقه تاريخ وفاة المؤرخ فخر الدين مباركشاه المتخلص بفخر مدبر، وإن كانت اشارة خوانسارى إلى تاريخ تأليفه كتابه أداب الحرب والشجاعة فى عام ٦٢٦هـ او ٦٢٧ هـ تفيد ان مباركشاه كان قد تعدى الخمسه والسبعون عاماً فى هذه السنه إذا اعتبرنا أن تاريخ ميلاده كان عام ٦٥٠هـ او ماتلاه من سنوات، او أقل من المائة عام أو تعداها إذا اعتبرنا ان تاريخ ميلاده كما افترضه خوانسارى عام ٥٢٥هـ او٥٣٥هـ. وان كان افتراض عام ٦٢٦هـ تاريخاً لتقديمه كتابه

---

(١) لغت نامه، بخش اول، شماره حرف (م)، ص٢٠٩.

(٢) بالتنصيل ارجع إلى اسفزارى، روضات الجنات فى اوصاف مدينة هرات، باتصحيح سيد محمد كاظم امام، تهران، ١٣٣٨،ص٣٥٦، ٣٥٧. محمد عوفى، لباب الألباب، جزء اول، ص ١٢٥، ١٣٣ .

(٣) مقدمة خوانسارى لكتاب آداب الحرب والشجاعة، ص ١٠

آداب الحرب والشجاعه إلى السلطان ايلتتمش يغلب الظن بان المؤرخ فخر الدين مباركشاه المتخلص بفخر عدبر قد توفى فى الاعوام الأخيرة من حكم السلطان ايلتتمش فى لاهور بالهند والتى انتهت فى عام ٦٣٣هـ الذى توفى فيه ايلتتمش- ولذلك فمن الممكن تحديد تاريخ وفاة المؤرخ فخر الدين مباركشاه بين عام ٦٢٧هـ وعام ٦٣٣هـ .

مؤلفاتــــه :

يظهر من ديباجة فخر الدين مباركشاه لكتابه شجرة الانساب المعروف بتاريخ مباركشاه فى احوال الهند انه الكتاب الاول لمؤلفه، وذلك لان الديباجه لم تحتو على اية اشارات لمؤلفات أخرى من تأليف مباركشاة، كذلك صرح مباركشاه بانه صرف اثنتا عشر سنه من عمره يدبج كتابه ويعيده فى أكثر من مسوده حتى يخرجه على افضل صورة يريدها، والأغلب أن الانسان يصنع مثل هذا الصنيع مع اولى مؤلفاته، وايضا كان تقريظ والده لهذا العمل موحياً بانه اولى اعمال الابن على طريق العلم.(١)

ويشير خوانسارى(٢) إلى كتاب أخر لمباركشاه بعنوان " آداب الملوك وكفاية المملوك" ومنه نسخه وحيده برقم ٦٤٧ فى مكتبة ديوان الهند .

أما صاحب حبيب(٣) السير فيذكر كتاباً من تأليف فخر الدين مباركشاه فى علم النجوم، عنوانه" المدخل المنظوم فى علم النجوم" ولاندرى على وجه الدقه هل المقصود فخر الدين مباركشاه الشاعر ام المؤرخ ؟بالاضافة إلى أن متن الكتاب ليس بين ايدينا للتحقق من انتسابه إلى ايهما.

---

(١) راجع الترجمة العربية لديباجة كتاب شجرة الانساب فى القسم الثانى من هذا الكتاب

(٢) مباركشاه، آداب الحرب والشجاعة، المقدمة، ص٩.

(٣) غياث الدين بن همام الدين الحسينى، حبيب السير في أخبار افرادبشر، زير نظر دكتر محمد دبير سياقى، جلد دوم، چاپ دوم، ١٣٥٣هـ.ش، ص٦٠٦.

وجدير بالاشاره ان علم الفلك وتقسيمات البروج قد ذكرها الفخر المدبر فى بداية كتابه شجرة الانساب مما يشير إلى اهتمامه ومعرفته بعلم الفلك، ولكننا - رغم هذا-لانستطيع ان نقطع بنسبة كتاب "المدخل المنظوم فى علم النجوم" إليه .

ويذكر عبد الحى(١) حبيبى فى حواشيه على كتاب طبقات ناصرى كتاباً بعنوان" رحيق التحقيق من كلام فخر الدين مباركشاه الغورى" وهو مخطوط بمكتبة آيا صوفيا تحت رقم ٤٧٩٢، وذكره زكى وليد توغان في كتابه مجمع الفصحاء(٢) ذاكرا أنه في علم الأخلاق.

ومن الواضح من عنوان المخطوط أنه من جمع أحد تلاميذ مباركشاه أو أحد معاصريه، واغلب الظن ان مباركشاه المقصود هو الفخر المدبر لأن موضوع الكتاب في علم الأخلاق وليس منظومة شعرية وإلا لكان ينسب إلى مباركشاه الشاعر.

أما كتاب "آداب الحرب والشجاعة" فهو أحد مؤلفات فخر الدين مباركشاه الشهير بفخر مدبر، وقد وضح هذا من المقدمة التي كتبها المؤلف لكتابه، ولحسن الحظ فأن هذا الكتاب قد وجدت منه عدة نسخ مخطوطة عددها سته؛ استطاع أحمد سهيلي خوانسارى أن يقدم من خلالها نسخة مطبوعة ومحققة من الكتاب نشرت في طهران:

وكتاب "آداب الحرب والشجاعة" ينقسم إلى أربعة وثلاثون باب يحمل كل واحد منه عنوانا يوضح المضمون. ويعرض الفخر المدبر مضمون الباب من خلال قصص (داستان) لشخصيات شهيرة عربية وفارسية، بعضهم من الملوك أو الوزراء أو الحكماء والمشاهير، ونعرض لبعض عناوين أبوابه لنتعرف على موضوع الكتاب.

الباب الأول: في كرم وحلم وعفو الملوك.

---

(١) منهاج السراج، طبقات ناصرى، جلد اول، چاپ دوم، ص٣٩٧.

(٢) توغان، مجمع الفصحاء، ج٢، ص٠ ٨٥ نقلا عن طبقات ناصرى، جلد اول، ص٣٩٧.

الباب الثانى: في نوايا وعدل الملوك وخصالهم الحميده.
الباب الخامس: في اختيار الوزير الكافى العالم الناصح طاهر الدين الذي يخشى الله.
الباب السادس: في إرسال الرسل والتحف والهدايا وترتيبها.
الباب الثامن: في خلق وفضيلة وبركة الخيل وثواب الشخص الذي يتعهدها.
الباب التاسع: في لون وهيئة وأمراض الخيل والركوب والرياضة التي وضعها الأساتذة.
الباب الحادي عشر: في أفضال وخصائص كل سلاح وثواب صانعها.
الباب الثالث عشر: في نزول الجيش واقامة المعسكرات.
الباب السابع عشر: في اختيار مكان المعركة.
الباب الثالث والعشرون: في ثقافة وعلوم الحرب ودقائقها.
الباب التاسع والعشرون: في علامات النصر والظفر في يوم المعركة.
الباب الرابع والثلاثون: في النصائح التي يعمل بها الملك وقائد الجيش والرعيه.

ويتضح من العناوين السابقة أن موضوع كتاب آداب الحرب والشجاعة يتصل بكل الآداب والفنون التى تنظم الحرب والمعارك بداية من الملوك وحكمتهم -فهم صاحبوا قرار الحرب- والأدوات التى تدار بها المعارك من خيل وسلاح وترتيب استراجيات الجيش والمعارك وحتى النصائح التى يخرج بها الملك والجنود والرعية والتى يجب مراعاتها عند كل معركة. ويبدو أن دافع الفخر المدبر إلى تأليف كتابه في هذا الموضوع أنه عاش عصر ملئ بالمعارك والفتح؛ خاصة المعارك التى قادها السلطان قطب الدين ايبك لفتح الهند ونشر الإسلام بها وتأسيس الدولة الغورية في لاهور.

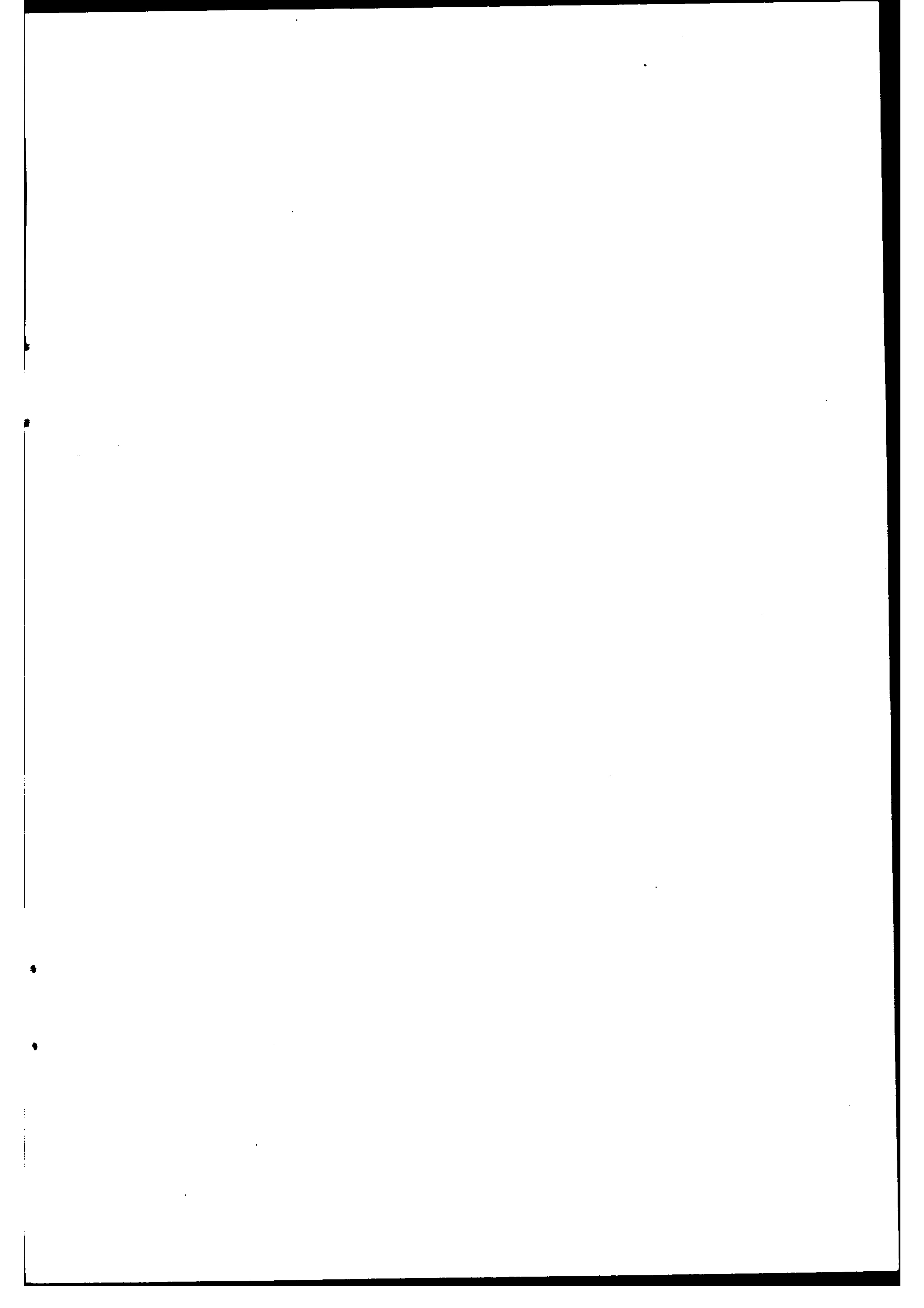
ويظهر جليا من مؤلفات الفخر المدبر غلبة نواحى الحكمة والأخلاق والدين والتاريخ مما يشير إلى ثقافة مباركشاه، فمما لاشك فيه أنه عرف اللغة العربية واتقنها لأنه كثير الأستشهاد بالقرآن الكريم والحديث الشريف، كذلك كان يترجم معانى الآيات إلى الفارسية بما يوضح اتقانه للغتين. وقد يكون دافعه لاتقان العربية كونها لغة الإسلام، كذلك انحداره من ارومة عربية ترجع به إلى أبى بكر الصديق رضي الله عنه.

أيضا عرف مباركشاه اللغة التركية فقد اورد رباعية بالتركية وترجمها إلى الفارسية، كما مدح تعلم اللغة التركية مما يفيد أهتمامه بها.

وتشير استشهادات مباركشاه بالقرآن والحديث إلى ثقافة دينية كبيرة، كما أشار في ديباجته على الكتاب إلى بعض الأسماء مفيدا تلمذته علي أيديهم ومنهم القضاة والعلماء في غزنة منهم قاضى القضاة عز الدين عمر، والسيد الإمام الباقرجى، واللحرآى وعلى الشادن وغيرهم كثيرون وأهم ما تؤكده مؤلفات مباركشاه المعروف بالفخر المدبر أن اهتماماته لم تنصرف إلى الشعر والآداب بل انصرف إلى الحكمة والأخلاق والدين والتاريخ وهو معيار هام للتفرقة بن شخصية فخر الدين مباركشاه الشاعر وشخصية فخر الدين مباركشاه المؤرخ والمعروف بالفخر المدبر.

القسم الثانى

الترجمة العربية
لكتاب تاريخ مباركشاه في أحوال الهند



ديباجة الكتاب

يقول أقل الدعاة واحقر الخدم الشيخ الضعيف محمد بن منصور بن سعيد ابن ابى الفرج بن الجليل بن أحمد بن أبى نصر بن خلف بن أحمد بن شعيب بن طلحة بن عبد الله بن عبد الرحمن ابى بكر الصديق التيمى القرشى رضى الله عنه، الملقب بمباركشاه والمعروف بفخر مدبر اصلحه الله وأعانه على طاعته مؤلف ومستخرج هذه الشجرة والأنساب.

كان سبب ظهور وجمع هذه الأنساب أن شجرة نسب هذا الداعية واسلافه لم يمض عليها مدة في حضرة البلاط حيث أنه لم يوجد منذ زمن الغزو* شخص ملائم للبحث والتقصى عنها. حتى ذلك العام الذي فتح فيه السلطان الشهيد سلطان خسرو ملك(١) برد الله مضجعهما برد ولاهور، فذهب هذا الداعية إلى هذه الحضرة واعاد طلب اوراق املاك وأوقاف الأسلاف، فوقعت في يده شجرة الأنساب تلك فاحضرها إلى لاهور، وتملكته الرغبة والهمة لأنها نسب رسول الله ﷺ وفيها أصحاب شهد لهم الرسول بالجنة، وكل العشرة قرشيين ولهم صلات قربى تقترب من الرسول ﷺ وكان مقدمهم وأمامهم أمير المؤمنين أبى بكر رضى الله عنه الذي ينتسب إليه هذا الداعية، فتم جمع هذه الأنساب العشر ودونت. وبعد أن أتممتها جال بخاطرى أيضا أن اصلها واجمع أسماء الصحابة المهاجرين والقرشيين والذين ينتسبون للرسول ﷺ ومضت مدة طويلة حتى تم جمعهم، ومرة أخرى وكما هو معتاد في طبعى حينما تمت انساب المهاجرين كان يجب ضم انساب الأنصار الذين حملوا الرسول من مكة إلى المدينة وبذلوا المال والدور والأراضى لخدمة حضرة النبى. ومضت مدة أخرى في

* هذه الكلمة عند روس فى نسخته الوحيدة لتاريخ مباركشاه (غزو)، أما خوانسارى فيذكرها في مقدمته لكتاب آداب الحرب والشجاعة (غز) قاصدا بها قبائل الغز التركية، وأغلب الظن أن الصحيح هو ماورد في نسخة روس.

(١) السلطان الشهيد خسرو ملك بن خسروشاه آخر ملوك الأسرة الغزنوية، حصل على الملك بعد خسروشاه وكان حليما كريما، عاش حياة اللهو والطرب. حدثت معركة بينه و بين معز الدين محمد بن سام الغورى عام ٥٧٧هـ حول لاهور وفي عام ٥٨٣هـ استولى الغوريون على لاهور واسرو خسروملك واحضروه إلى غزنين ومنها ارسل إلى فيروزكوه لخدمة غياث الدين محمد بن سام وهناك قتل عام ٥٩٨هـ. وانتهت بذلك الأسرة الغزنوية (انظر عباس پرويز، ديالمه وغزنويان، ص٣٦٢، ٣٦٣).

هذا تم الأستعانة فيها بالأصول المعتبرة من التفاسير والأخبار والقصص والمغازي والتواريخ والدواوين والكتب المتفرقة. ومضت مدة طويلة من الزمن حتى تم هذا العمل. وبفضل الله عز اسمه فقد جال بخاطرى مرة أخرى بعد أن تمت انساب المهاجرين والأنصار؛ أنه يجب أن اجمع ايضا في هذا الأصل وحتى يصبح كاملا؛ نسب النبوة وقصصهم وضحها الله تعالي في القرآن واوضح معجزات كل واحد. وحينما استقر هذا الأمر في ضميرى كان يجب تتبع الكتب أيضا والأخذ باصولها المعتبرة مرة أخرى، وعانيت كثير من المجاهدة والتأمل ليال طوال حتى يسرها الله تعالى وتمت.

ومرة أخرى جال بخاطرى أن هذه الشجرة تضم أفضل أهل العالم وأنه يجب تتبع نسب ملوك العرب من الشام ويقال لهم الغساسنة وملوك اليمن وهم تبع واضافة الحميريين وجزيرة الأنبار والحجاز والعراق أيضا.

ومرة أخرى مضت مدة طويلة حتى تيسر الأمر وجمع بكثير من التعب والتأمل، ومرة ثانية ووفق الطبع المعتاد حينما تم الوفاء بهذا الغرض كان من الواجب جمع نسب الشعراء من الصحابة وشعراء الجاهلية والمخضرمون* الذين ادركوا الكفر والإسلام وشعراء أهل الإسلام والمولدون، ومضت مرة أخري مدة في هذا الأمر؛ كان التحمل فيها لمتاعب جمة حتى تيسر هذا الأمر، وجال بالخاطر أنه طالما تهيأ هذا الغرض فيجب أن يضم ملوك العجم من قبل الداذين والكيانيين والأكاسرة ويطلق عليهم الساسانيين وأيضا نسب الأشغانيين ويطلق عليهم ملوك الطوائف.

ومرة أخرى كان تتبع الأصول المعتبرة من التواريخ واخبار القدماء والكتب المتفرقة. وكلما وقع باليد كتاب تعبت تعبا شديدا في استخراجه وقد رأيت متاعب أكثر في تتبع هذه الأنساب لأن هذه الطائفة كانت من طبقة بعيدة مضى عليها آلاف السنين وكان استخراجها من أصعب الأمور. وبعد متاعب جمه يسرها الله تعالى. وبعد هذا وصلت إلي تتبع أبناء آدم وبعد مشقات وتحمل تم

* في الأصل المحضرمون بالحاء، والصحيح المخضرمون بالخاء.

استخراجهم أيضا. وبعد ذلك هيأ الله تعالى تتبع نسب بنى أمية وخلفاء بنى العباس ونسب الأمامان العالمان ابى حنيفة والشافعى رحمهما الله. وبعد ذلك تم جمع انساب قبائل العرب والصحابة والتي كانت متفرقة في القبائل والبلاد. ثم نسب ذى القرنين ولقمان الحكيم وبلعم الباعور وكذلك أبناء مالك الدعر الذين باعوا يوسف الصديق عليه السلام فإن غلمانه كانوا قد اخرجوه من البئر وكان اخوته قد جاءوا في طلب شراءه. ثم بحث وجمع انساب الأمراء الذين ترأسوا في عهد بنى أمية وبنى العباس.

ثم جمع أنساب الطاهريين والصفاريين والسامانيين وكانوا ملوك خراسان وماوراء النهر. ثم جمع انساب آل الأمير العادل ناصر الدين سبكتكين الغازى رحمهم الله وكانوا ملوك غزنين*، وقد تركوا آثارا حسنة وسننا حميدة وأبنية ومدارس ظلت تذكارا على مر العصور. وحتى يكتمل العمل تم جمع انساب الأشراف والعلويين وملوك الجبال وكانوا ملوك الغور وقد قاموا بأعمال عظيمة وهم ينتسبون للضحاك**، ولم يكن في الأستطاعة الوصول إلا إلي ما أمكن الوصول إليه مما هو معروف، مع مطالعة القليل والكثير من آلاف قطع الكتب ومراجعتها عدة مرات حتى تصحح.

وقد مضى في هذا الأمر اثنتا عشرة سنة في جمع هذه الأنساب، ولم يكن هنالك شئ من الممكن أن يوجد في جزء واحد من كتاب أو في عشرة أجزاء أو في مائة جزء أو أقل أو أكثر إلا وقد نقل عنه إذا ما حصل عليه هذا الداعية وعجز أى إنسان آخر عن ان يحصل منه علي بغيته. وحينما اصبح كل شئ معلوم ومجموع، كان من الواجب أن يمضى مدة عام ليلا ونهارا في التفكير

---

* غزنه الآن.

** الضحاك أوبيوراسب، من اصل عربى، رويت قصتة في الشاهنامه، يقال اغواه ابليس فقتل اباه فقبله ابليس في منكبيه فنبت مكان القبلتين ثعبانين عظيمين، كلما اجتثهما نبت في مكانيهما آخران، وتخفى ابليس في صورة طبيب ونصحه أن دواء آلامه تكون بقتل شابين في كل يوم وتقديمهما كطعام للثعبانين. استولى الضحاك على الحكم في إيران وقتل جمشيد، وكان كثير الظلم، حتى ثار عليه حداد يدعى (كاوه) لقتله أولاده ودعى الناس للثورة وتولية فريدون بن تهمورث الحكم، وقد نجح فريدون في أسر الضحاك وسجنه في جبل دماوند (ارجع إلى زهراى خانلرى (كيا)، فرهنگ ادبيات فارسي دري، تهران، ص٣٢١.

وهندسة اسلوب كتابة هذه الأنساب، وعلى أى شاكلة ستكون؟! هل الأب مع الأب؛ والفرع من الفرع؟ لقد كان وصلها شديد الصعوبة وارتباطها يتفرع إلي ما يزيد علي ألف مرة عبر الزمن وكيف يمكن ايصال هذه الأنساب المجموعة فرع بفرع إلي آدم عليه السلام؟! ثم التدوين الصعب وبأى طريقة يجب تدوينه بأن يتجه من أعلى لأسفل أو يجب أن يسير من أسفل لأعلى وكيف يجب حصرها؟! ومضت ليال بطولها في هذا التفكر حتى سهّل الله تعالي هذا الطريق الصعب ويسّر هذا السبيل، وخلال ما يقرب من ستة شهور تم بتأمل وتأن المسودة الأولى لهذه الشجرة، وبعد ذلك زادت بعض الشئ فاحتاجت مسودة أخرى، ومرة ثانية تم ضم شئ من أنساب الأشراف والعلويين ، فكتبت للمرة الثالثة. والآن يتم المراجعة والفحص حتى إذا ما كان هنالك شئ آخر معلوم ضُمّ أيضا.

وحينما دونت هذه الشجرة وكان والد وسيد هذا الداعية وهو أحد العلماء ذوى الفنون، كثيرى العلم، كاملى الفضل ومتبحر ويعرف بضعة وعشرون نوع من العلوم بدقائقها وغوامضها وغرائبها تمام المعرفة، وأستاذ أئمة كلا الحضرتين والقصبات والمراحل الأخرى التي كانت بين الحضرتين، وجميع الإئمة والقضاة والخطباء الذي كانوا في هذه المواضع، وحتى الآن هنالك طائفة مازالت تجلس إليه القرفصاء للتعلم ولتحصيل شئ من علمه وللإستفادة.

وحينما رأي هذه الشجرة ظل حيران ومستغرب ثم قرأ شئ منها وتفاخر بالداعية واستعجب بشدة ثم استحسن وقال:

إنك طالعت ليال طوال ولم تنم بسبب هذه الغرائب والعجائب التي لامثيل لها، وإنني وللثلاثين عاما في تفكر وتمنى أن أعمل مثل هذا العمل، وإما وإنني قد وصلت إلى هذا الحد والمقدار ولم أترك تذكارا فالحمد لله تعالى، فإن كنت لم أجد الفرصة فالله تعالي قد وفقك لأن تقوم بعمل شئ عجيب لامثيل له، فإنه لم يشر أحد إلى مثل هذه الشجرة التي خرجت من يدك وانفقت فيها زمن طويل بلا ثواب وجزاء؟! أما ماهي الفائدة التي حصلت عليها؟ فإنه لن يقف شخص قط علي سر هذا المعني ولن يعلم مقدار ومدي تعبك، يقولون: ما هذاالذى صنعه؟ ويقول الحساد والجهال: ومن أجل ماذا صنع هذا العمل؟ وعند هذا فلايجب الالتفات إلي كلام أى من الجهال والحساد، فإن

ماصنعته جميع أئمة غزنين مثل قاضي القضاة عز الدين عمر والخواجه الإمام الباقرجي، والخواجه الإمام المؤيد، والخواجه اللحرآى، وسيد إمام محمد أبو الفتوح، والخواجه الإمام علي الشادان والخواجه الإمام علي المحفف، والخواجه الإمام الطرائفي والقاضي الإمام أحمد يوسف اسرائيل والخواجه الإمام قاسم محمود النيشابوري، والقاضي محمود الأستوني، والخواجه الإمام محمد الياس رحمهم الله، (وقال اسماء إئمة اخرون ما يقرب من أربعين عظيم كانوا أساتذتي وكان كل واحد في عهده وكأنه أبو حنيفه وأبو يوسف ومحمد حسن الثاني) إن كانوا أحياء فإنهم يعلمون أي تعب قاسيته، وأي أصل نادر وغريب وصلت إليه، وكانوا سوف يحمدون الله حمدا كثيرا ويثنوا عليه. والآن اعتن بالمحصول الطيب حتي لايقع في يد من لايعرف قدره، فانه لم يكتب مثله أحد عبر ستمائة عام من الإسلام، ولم يوجد مثله قط في مكتبة أي خليفة أو سلطان أو أمير ووزير وصاحب صداره واجعله في مكانة تحفه ومعين وتذكار حتى تصبح من الكرام والعظام وحتى تحظى بالافتخار والفائدة وباسمه تزين صفحات الأوراق والآن لاتخلو الدنيا من الكرام والعظماء والملوك الواعين والأسخياء الجواد والوزراء الكفاه كاملي الجود والأمراء الكرام الصبورين، آمل بقدر ماتعبت أن تحصل علي الثمرة اليانعة لهذا العمل، وإن يطيب لك زمانك بسبب جمع الأسماء ونسب الأنبياء والصحابة والخلفاء والعلماء وأئمة الدين، يقال: قد عُرف عنه الفراسة والكرامة فإلى أي مدى سيصل.

حتي وصل إلى لاهور في خريف سنة اثنتي وستمائة السلطان الشهيد معز الدنيا والدين رحمة الله عليه، وكان واحدا من العظماء والحجاب قد رآه*، فأسر إلي السمع المبارك لهذا الملك- نور الله قبره- بانه لم يعرف شخصا قد كتب مثل هذه الشجرة النادرة الغريبة الذاخرة، مثل هذا الشخص. فاعاد ذلك الملك طلب هذا الداعية آمرأ: إن احضر هذه الشجرة الذاخرة حتى أراها. فقال هذا الداعية: إنني لاأستطيع إظهارها بدون موافقة الخوند** مؤيد الملك، ومن الجلي أنه يمكن للوزير غالبا حملها وشرحها إذا ما اعاد الخوند طلبها: علي أن يشرحها نفس الشخص على الخونـد

* يقصد كتاب شجرة الأنساب.

** الخوند تعريب للكلمة الفارسية خداوند.

مؤيد الملك. وقد أمر الخوند؛ القاضى الإمام بدر الدين بأن يعيد طلب فلان هذا الذي اتم هذه الشجرة وان عليه أن يحضر شجرة الأنساب تلك ونراها، وكما جاء بلفظ ملك الاسلام المبارك: طالما أن شخصا قد أعد شيئا عجيبا غريبا فيجب أن آراه.

وذات يوم حينما كان يحمل معه الشجرة وكان الخوند مؤيد الملك في هذا اليوم صائما وقد جن الليل وكان الخدم مشغولون فى اعداد الأفطار، ولما كان الرفق مستحب عند الأنشغال فمن قبيل الأدب عد هذا الوقت غير مناسب لعرضها عليه، ولما كان هذا الخوند مشغولاً في مهمات الملك وجباية الأموال ولن يستطيع القيام بأعمال أخرى، وبسبب الاحتراز الذي كان عند هذا الداعية فانه لم يذهب إليه وعاد في تلك الأيام إلي الحضرة.

ومن ناحية ثانية فقد حدثت واقعة هائلة ففى هذا الوقت وصلت إلي دار الملك لاهور رايات الملك المعظم العادل الغازي المجاهد قطب الدنيا والدين خسرو المشرق -اعز الله انصاره- مظللا بالفتح والنصر والسلطنة والتوفيق، ونزل في قصر همايون ونزل الأمراء وقواد الجيش والعظماء في كل محلة وتعارفوا علي كل السادة والعظماء.

وأعاد أحد الأشخاص حديث هذه الشجرة علي قائد الجيش مبارز الدولة والدين الغ داد بك طغرل تكين على حسن - ادام الله اقباله- ولما كان يتمتع به هذا الخوند من فضل وعلم ومهارة فقد طلب أن يراها، وقد حملت إلي خدمة هذا الخوند وقدمت إليه، فأمر بالاهتمام بها بشدة والعناية بها فلايجوز أن يراها أو يسمعها علي هذه الصورة ولكن يجب إذا ماعرضت علي الرأى الأنور ملك الإسلام الغازى العادل اعز الله انصاره وضاعف اقتداره فيجب أن تكون في صورة لائقة طيبة حتى إذا ما وقع النظر المبارك على هذه العجائب والغرائب ورآها فأنه حينئذ يمنح من كرم وبذل وجود ملك الإسلام توا وفي نفس اللحظة تشريفا وانعاما ورزقا*، ومن الجائز أن يأمر بنسخة في مكتبته الخاصة. وقبل هذا كان قد رآه قائد الجيش الأجل حسام الدولة والدين زين الأمراء أحمد علي شاه،

* الكلمة في الأصل (نان پاره) بمعني كسره خبز ولكنها لاتستقيم مع الترجمه لذا وجب التصرف.

وكل من هذين السيدين من حيث الأصالة والنجابه كريما المحتد وكما يقال: إن هذا الأصل لايخطأ، وقد بقيت آثار الأسلاف العظام لهذين السيدين في الدين والدولة وقد اعقبوا ابناءا حسان مميزين عقلاء كاملي الفضل. وبسبب بعد النظر المبارك لملك الإسلام وبما يليقابه من الاهتمام والعطف فقد اصبحا الخادمان الطيبان، والعبدان المهذبان؛ محمودا السيرة؛ مرضيا الطريقة، بهاء وزينة البلاط والمجلس وميدان وغى الملوك والأمراء؛ واصبحت رعايتهما سبب زيادة الدولة ودوام المملكة. فليجعل الله تعالي كل منهما؛ أبناء الدولة العظام؛لائقا لخدمة الملك المعظم.

وتصادف أنه في كل جمعه كان ملك الاسلام الغازى ينزل من أجل صلاة الجمعة في حصن قائد الجيش الأجل الكبير الكريم أسد الدولة والدين سيد الرجال الغ داد بك علي محمد أبو الحسن -يديم الله اقباله- وتم الاتفاق علي التالي: أنه لما كان الملك في كل جمعه يخرج لصلاة الجمعة بهذا الحصن ويذهب من هناك للصلاة، فليقدموا هذا الداعية ويحضروا الشجرة فينال شرف المثول (تقبيل اليد) وسعادة التعرف إليه. وقد قدموا هذا الداعية الذي قدم للرأى الرفيع الملك المعظم اعز نصره تقريرا وافيا لكل نسب من آدم عليه السلام وحتي نسب الرسول عليه التحية والسلام وخلفاء بني العباس ومن تلاهم علي التوالي والترتيب. وصدر الأمر المثالي بان تكتب نسخة للمكتبة الخاصة وتجلد، وقد امتثل للأمر المثالي وكتبت واودعت بالمكتبة. آمل حينما يقع نظره المبارك عليها أن يتقبلها قبولا مشرفا، وان ينظر ويتقبل داعية الدولة هذا بالعناية والعطف فيتفاخر بهذا ويتباهي علي اقرانه واخوانه ويسعد، ان شاء الله تعالي وبه الثقة.

* * *

وفي النسخة الأصلية بعد هذا ورقتان تشتملان علي نسب رسول الله ﷺ وشجرة نسب مشاهير أهل العالم، وبعدهما يقول المصنف: أول ابن حملت به حواء كان عبد الحرث، وطوال حمل حواء به كان كثير الحركة في بطن حواء ولم يسبق لحواء أن رأت مطلقا مثل هذه الحالة، فخافت من هذه الحركة وحينما اقترب موعد الولادة تحرك مرة أخري بقوة عدة مرات، فخافت حواء جدا وخشيت أن يكون في بطنها حيوان أو وحشى وتهلك.

وقد كانت تجلس حائرة متفكرة وكان آدم عليه السلام في زيارة بيت الكعبة حينما دخل ابليس لعنة الله عليه في صورة زاهدة عجوز منحني الظهر ويرتدى ثوب صوفي وبيده عصا وسبحة كبيرة معلقة في رقبته واقترب من حواء والقى السلام فردت حواء السلام وقالت: من انت أيها الشيخ ومن أين أتيت؟ قال: أنا ملاك اسيح في الأرض واتعبد وفي هذه اللحظة وصلت إلي هنا ورأيتك ووجهك ينبئ عن حالك ويظهرعليك أثر الرعب والخوف، فلم استسغ ان امضى عنك. قالت حواء: الأمر كما رأيت أيها الشيخ، فلى مدة وشئ يتحرك في بطني واليوم يشتد تحركه ويتتالي الألم حتى هلكت واننى شديدة الخوف أن يكون في بطنى حيوان أو وحش وألا يخرج من داخل بطني وأموت.

فقال ابليس لحواء: انظرى إليّ حتى أتأمل جيدا ماهو الشئ الذي ببطنك وحينذاك اقول لك حاله واعلمك علاجه. فنظرت حواء إلى ابليس. فقال ابليس: والله في بطنك حيوان حي وأخاف أن يهلك! فاذا دعوت لك حتى ينجيك الله عز وجل من هلاكه ويحوله إلى صورتك وآدم، فهل تعاهدينى وتقسمي انك حينما تريه على صورتك وآدم أن تطلقي عليه اسمي؟! فقالت حواء: أفعل ماتريد. وسعدت أنها ستتخلص من الهلاك وعاهدت ابليس واقسمت بقسم مؤكد وقالت: ما اسم الشيخ حتى اسمي به. فقال ابليس: عبد الحرث.

وفي البداية كان هذا اسم ابليس، فحينما اسرته الملائكة في بداية الخلق من بين جن بنى الجان وحملوه للسماء تطبع بطبع وعادات الملائكة وكبر بينهم واشتهر بالطاعة، وسمى وفقا لأسماء الملائكة عزازيل وحينما لم يسجد لآدم عليه السلام واغتر بنفسه وعصى لعنه الله تعالى وطرده من حضرته وابعده عن رحمته فاتخذ اسم ابليس. وحينما عقد ابليس العهد وحصل مراده ابتعد عن حواء واختفى. ولما مضت عدة أيام ووضعت حواء الحمل وسعدت. واستجيب دعاء الزاهد ووهبها الله تعالي ولد، فقد وفيت بالعهد لما رأته من استجابة دعاء الزاهد واسمته عبد الحرث وأحبته بشدة. وبعد مضى عدة أيام عاد آدم صلوات الله عليه وسمع صوت يشبه هدهدة الأمهات للأبناء، فاقترب من حواء ورأى ولد قد امسك بالحافة ويناغى. قال: ياحواء ماهذا؟ ولم يكن آدم عليه السلام قد رأى طفل قط واستبشر. قالت حواء: ياآدم كان هنالك شئ في بطنى يتحرك بقوة قد أراد هلاكى،

فدخل شيخ علي شكل راهب وأثر الخوف يظهر عليّ وقال: اغلب الظن ببطنك حيوان حى سيكون سبب هلاكك. فقلت: وماالعمل؟ قال: إذا عاهدتنى ادعو لك الله عز وجل بان يهبك ابن على صورة آدم وينجيك من الهلاك فاطلقى عليه اسمي وقلت قبلت ان اضع اسمك واقسمت فدعى الله ووهبنا الله عز وجل هذا الأبن بدعائه ونجانى من الهلاك، وقد ولد الولد حينما كنت في اعتكافك. وهكذا وكما عاهدته وفيت وسميته باسمه. فقال آدم عليه السلام: وأى اسم سميته؟ قالت عبد الحرث. فقفز آدم من مكانه وقال : ايتها الجاهلة ألا تعلمى انه ابليس وعدو قديم لايصبح أبدا صديق جديد، وهو لم يرد، حسدا؛ أن نطلق عليه اسم عبد الله واراد اسمه. تعالي حتى نطلب من الله عز وجل أن يأخذ هذا الابن الذي اطلق عليه اسم عدو الله وان يهبنا ابن افضل منه وان يحفظنا من شر ابليس ومكره. وقد دعا كلاهما الله تعالي بان يميت هذا الابن*، وحملت حواء بابن‌آخر وولدت ابنان ذكر وانثى واسمت الولد عبد الغيث والبنت ام الغيث. وبعد هذا ولدت قابيل واخته اقليما وكانت اقليما افضل نساء اهل العالم. وبعد هذا ولدت هابيل واخته لبوذا وأمر الله تعالى آدم عليه السلام بأن يعطى لهابيل الاخت التي ولدت مع قابيل ويعطى قابيل اخت هابيل. ولم يطع قابيل الأمر ولم يقبل أن يترك الأخت التى ولدت معه -اقليما- وعصى آدم والله وترك يد الأخت التى كانت حلاله وكفر وقتل هابيل، فابعده آدم ولعنه واوصى الأبناء بان لاتقبل ابنة من بنات قابيل ولانعطيهم ابنه. وقد اعتنوا بهذه الوصية لفترة وبعد هذا اختلطوا مع بعضهم البعض وسحبوا أيديهم من وصية آدم واتبعوا هواهم وقد ظهر الكفر منذ هذا الوقت. عندما قتل هابيل بكى آدم وحواء -عليهما السلام- علي فراقه وجزعوا، فوهبهم الله تعالي ابنا واسموه شيث. وشيث باللغة السيريانية تعنى هبة الله، اى أن الله عز وجل قد وهبهم هذا الابن عوضا عن هابيل. وكان شيث رسول وولى عهد ووصى آدم عليه السلام. وبعد آدم انزلت عليه صحائف ضمت إلي صحائف آدم، ورفع بيت الكعبة بالحجر والطين وحج واعتمر، وكان هو اول شخص وضع اساس وقاعدة الملك والسياسة الملكية، وكان عمره تسعمائه واثنتا عشرة سنة. وبعد هذا انجبت حواء فتاة واسمتها عناق. وكانت ضخمة جدا فكانت تمسك باحد

---

* لم يرد ذكر أو إشارة لأحد من أبناء آدم يدعى عبد الحرث أو عبد الغيث أو أم الغيث وأن اتفق المؤرخين على أن حواء كانت تأتي بذكر وانثي في الحمل الواحد.(ارجع إلى المسعودى، مروج الذهب، ج الأول، تحقيق محمد محى الدين عبد الحميد، الطبعة الخامسة، القاهرة، ١٩٧٣، ص٣٥، ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج الاول، ص٢٥)

حواف الأرض اذا ما جلست، وكان طول كل اصبع من أصابعها ثلاثة أذرع وفي كل أصبع ظلفان من الحديد يشبهان المنجل الذي يحصد الغلة. وكانت هي اول شخص على الأرض يزني ويأثم والجبت ابناء من الحرام فاسموها عوج، وبسبب الشرور غضب الله تعالى عليها وسلّط عليها كل الأسود وبعض الفيلة وكل الذئاب وما يشبه الجمال وكل النسور وبعض البغال حتي تهلكها. وكان طول عوج هذه ثلاث وعشرون الف وستمائة وثلاث وثلاثين ذراع وهذا قول عبد الله بن عمر واوردها الامام الثعلبي في العرائس. وكانت عوج تشرب الماء من السحاب وفي كل يوم تخرج عدة سمكات كبار من نهر النيل وتضعها أمام عين الشمس حتى تأكلها مقددة. وفي وقت الطوفان الذي كان يرتفع ستين ذراع فوق جميع جبال العالم فلم يكن يرتفع عندها إلا إلى الركبة. وكانت قد ولدت في حياة آدم وعاشت حتى وقت موسي وكان عمرها ثلاث آلاف وستمائة سنة وقتلها موسى عليه السلام وكان هذا كالتالي: فقد أمر الله سبحانه وتعالى موسى بحرب قوم جبارين والإستيلاء على مدينة اريحا منهم ولم يطع بنى اسرائيل أمر موسى ولم يذهبوا للحرب فابتلاهم الله تعالي بالتيه في الصحراء وكان القوم الجبارين يعلمون أن موسى رسول حق إذا قصدهم كان الظفر والنصر له وكان في مدينة اريحا اثنتا عشر ألف طباخ وفي كل يوم كانت عوج تحضر حمل من الحطب يكفى لكل الأثنتي عشر ألف طباخ وتعطى لكل طباخ وزن من* واحد لكل رغيف كبير، وكانت تأكل الأثنتا عشر ألف رغيف ذات وزن المن ولاتشبع. فاجتمع أهل اريحا ودبروا ونادوا عوج وقالوا: إذا احتلتى وحملتى جبل بقدر معسكر جيش موسى والقيته عليهم حتى يهلكوا نشبعك كل يوم بالخبز والثياب أيضا إذا ما قمت بهذا العمل. فارتقت عوج جبل ونظرت إلى جيش موسى وحملت بحجمه جبل مساحته فرسخ في فرسخ وحملته على رأسها واسرعت تجاه بنى اسرائيل، وأمر الله تعالي اضعف الطيور الهدهد بان يلتقط في منقاره قدر من الماس ويضع قطعه علي هذا الجبل مقابل رأس عوج ويصقل هذا الجبل وأعطاه القوة كي يثقب هذا الحجر فسقط هذا الجبل في رقبة عوج. ولم تستطع باى حيلة تقدر عليها ان تفصله عن رقبتها ورأسها. فاعلم الله تعالي موسى بحال عوج حتى يحمل موسى

* المن وزن يختلف باختلاف المناطق فهو في جزيرة العرب حوالي ثلاثة أرطال وفي مصر كذلك وسوريا والعراق وفي إيران كان يساوى وزنا مختلفا فى كل مدينه من مدنها . تراوحت أوزان المن بين المن الصغير ويساوى ٦/٥ كغم . والمن المتوسط ويساوى ٩٢٠ جم . والمن الكبير يساوى ثلاثة كيلوجرام تقريبا . (انظر فالتر هنتس، المكاييل والأوزان الأسلامية، ترجمة كامل العسلى، منشورات الجامعة الأردنية، ١٩٧٠، ص ٤٥ : ٥٤ .

عصاه ويمسك بنى اسرائيل بكل الخناجر والفؤوس والسيوف . وكان طول موسى عليه السلام اثنتا عشر ذراع وعصاته طولها اثنتا عشر ذراع وقفز اثنتا عشر ذراع من الأرض حتى يضرب كعب قدم عوج، ،قيل زيادة على ذلك، فسقطت عوج فاعمل بها بنى اسرائيل السيوف والخناجر والفؤوس وقطعوها قطعاً، وكانت عظام ساقها قناطر فى عدة مواضع على نهر النيل وقد اوردوا فى القصص انه فى كل ليلة كان ينام عدة آلاف من الخراف فى جمجمة رأس عوج حتى يسلموا من الوحوش حتى جاء الوقت الذى جفت فيه جمجمة رأس عوج .(١)

وهنا تم متن الكتاب(٢) وباقى الكتاب يشتمل على مائة وست وثلاثون شجرة نسب .

---

(١) لا يخفى ما فى القصة من مبالغات واساطير وخرافات، وخاصة انه لم يسبق فى أحد المصادر ذكر او اشارة إليها فيما روى عن آدم علية السلام أو أحد من أبنائه (انظر ابن كثير، البداية والنهاية، ج الأول، بيروت، ١٩٨٥، ص ٨٦ : ٩١) كذلك يقرر القرآن الكريم غرق كل من خالف الله في الطوفان ونجاة من كان مع نوح علية السلام من الموحدين، يقول تعالى :"فكذبوه فنجيناه ومن معه فى الفلك وجعلناهم خلائف واغرقنا الذين كذبوا بآياتنا" (سورة يونس، آيه ٧٣) .
وعوج فى القصة المذكورة كانت من المفسدين فكيف اتفق انها عاشت منذ عهد ابيها آدم حتى عهد موسى عليهما السلام ولم تغرق مع المكذبين كما ذكرت الآية ؟؟ (المترجمه) .

(٢) اثبت روسى ديباجة الكتاب فى نهايته ولذلك جاءت هذه العباره تفيد تمام متن الكتاب، وقد رأينا اثبات الديباجه فى مكانها من مقدمة الكتاب .

بداية كتاب تاريخ مباركشاه فى احوال الهند

الحمد والشكر للقادر الذى تظهر آثار قدرته على صفحات الدهور والأيام كالشمس المضيئة المنيره . والحمد والثناء للقاهر الذى تضىء حكمته على مر شهور الاعوام كالقمر المتلألىء الباهر . أن اصناف الصنائع شواهد لسلطانه وانواع البدائع دليل وحدانيته . الأول بلا بداية والأخر بلا نهاية. واهب الجوهر والعرض* ، وهباته بلا منة او غرض . وجود كل موجود دليل وحدانيته، ووجود كل عابد دليل عزته . استقر عرش عظمته على جبين السماء من عصمته، وسكنت الصخرة الصماء تحت الأشياء من قدرته . يتعاقب الأشهب والأدهم** فى الكون بامره . وتضىء شمعة الشمس والقمر فى ايوان الفلك من صنعه . ولجلاله يصبح الحياء من تراب العرش تاجاً لملوك العالم . ومنتهى امانى بنى آدم شعاع ظفر من نسيم نصره . ومنذ القدم خلق الأرض المنبسطه من قبضة ماء، وأقام الجبال العظيمة فى الوجود من موج الماء وجعلها رواسى الأرض . ومن بخار الماء صنع السماء العالية، وبالحكمة أمر - تلك الأشياء - أن تكون سبعة أقسام وان تعلوا بعضها البعض، واظهر مئات الآلاف من أشكال الورود والثمر والريحان فى خميلة الأرض، واثبت وأدار فى قبة السماء المرفوعة عدة آلاف كوكب متلألىء، وخلق سبعة أسقف لازورديه بلا عمد، وزينها بسبع سياره ونسب كل سماء لواحدة من هذه السيّارة، ووهب بتقديرة لكل واحدة النور .

وقد أعطى زحل صفة السماء السابعة فهو شيخ الخانقاه، ذى المرقعة ويطلقون عليه (كيوان)، وأشار للمشترى على انه مسند قضاء السماء السادسة وهو قاضى العالم العلوى؛ وللمشترى اسم (الاحور) وهو (برجيس) ويطلقون عليه (وارمرد) ايضا . واقطع ميدان معركة السماء الخامسه للمريخ فهو البطل وقائد جيش الفلك ويطلقون علية (بهرام) و(هرمز) ايضا . وقد زينوا عرش المملكة وسرير دولة السماء الرابعة بالشمس فهى ملكة السيّاره ومنيرة الفلك ويطلقون عليها

---

* الجوهر والعرض اصطلاحان فلسفيان، فالجوهر : ما هية إذا وجدت فى الأعيان كانت لافى موضع وهو منحصر فى خمسة هيولى وصورة وجسم ونفس وعقل، والعرض : هو الموجود الذى يحتاج فى وجوده إلى موضع أى محل يقوم به (انظر الجرجانى، التعريفات، بيروت، ١٩٦٩، ص ١٥٣، ٨٣).

** المقصود الليل والنهار .

(خورشيد) و(مهر) و (خور). وزيّن قصر طرب السماء الثالثة بالزهرة فهى العازفة وشادية العالم ويطلقون عليها (بيُدخت) و (ناهيد). وقد مكّن صدارة ديوان رسائل السماء الثانية لعطارد فهو الكاتب وصاحب قلم العالم ويطلقون عليه (تير). ووهبوا مصنع الصباغة وخلط ألوان السماء الأولى للقمر فهو الرسام وجاسوس الفلك. واعطى لكل واحدة خاصة وطبع ومزاج مختلف وزيّن كل شئ من الأشياء بواحدة من هذه السيارات سماها بعض من الحكماء (مدبرات الأمر) وقدوردت -بهذا الأسم- في القرآن الكريم والكلام المجيد، واقسم الله سبحانه وتعالي بها وخصها قائلا: (فلا أقسم بالخنس الجوار الكنس)(١) ... وبسط فرش الأرض المنبسطة علي وجه الماء، وكما نسب للسماوات السبع السيارة كذلك جعل للأرض أيضا اقساما سبعة وسمى كل قسم اقليم واضاف كل واحدة لأحد السيارة، والأقليم بلد وهي سبع في الدنيا وجمعها أقاليم.

الأقليم الأول:

زحل الصادق ومن مدن هذا الأقليم المغرب والحبشة وزنجبار والنوبة وزبيد وصنعاء والبحرين وسبأ وحرس ومن ناحية الصين الخافقين ومن الهند سرنديب.

الأقليم الثاني:

المشترى الصادق وفي هذا الأقليم من المدن المعروفة أرض الحجاز في الصعيد الأعلى وتبوك وتيماء ووادي القرى وجدة والجحفة ومكة والطائف وخيبر وطي واليمامة ومن السواحل تيز ومكران وارمابيل وديبل ومن الهند المنصورة وسومنات ونهر واله وكنبايت وكالنجر ومهره وقنوج و گواليور وبنارسى ونارابن.

الأقليم الثالث:

المريخ الصادق ومن المدن الأندلس والمهدية وطرابلس ودمياط والإسكندرية والفسطاط والرملة

---

(١) سورة التكوير، آية ١٥ يثبت مباركشاه بعد كل آية من آى القرآن الكريم ترجمة بالفارسية للاية أو الحديث الشريف عند الإستشهاد به وقد رأينا حذف السطور المترجمة للآية أو الحديث منعا لتكرار المعني واكتفينا بنص الآية الكريمة وأشرنا لذلك بعدة نقاط بعد الآية.

وعسقلان وفلسطين وبيت المقدس وطور سيناء وطبريه ومدين والأنبار والقادسية والكوفة وبابل وبغداد والمدائن والبصرة وعبادان وقرقوب وسوس وشوشتر وسوق الأهواز واصبهان وكازرون وجرفت وبم ونرماسير وسيستان وزرنج وارض داور وبست وبنجواى وغزنين وقزدار وسد وستان وبهاطيه ومولتان وكرور وبرشور وويهند وجيلم وكيرى وسالكوت ومندكور ودهاماله وتكسين من أرض تركستان ومقبرة خاتون.

الأقليم الرابع:

الشمس الصادقة ومن ا لمدن قرطبة وترجالة ومقاله وجلالقه وطنجه وتامرت وعموريه وجزيرة شامس وجزيرة قبرص وطرسوس واللاذقية واطرابلس وصور وصيدا والمصيصه وحصن منصور وحمص وبعلبك وقنسرين وحلب وقاليقلا والأردن وشمشاط واردبيل ومراغه ونصيبين وسروج ورقّه وتدمر ونينوي وتكريت والموصل وسر من راى وقصر شيرين وحلوان وهمدان والزنجان وقزوين ودينور ونهاوند وساوه وقم وكاشان وسمنان ودامغان وبسطام ودماوند وطبرستان و استراباد وجرجان ودهستان واسفراين ونيشابور وزوزن وباورد وسرخس ودندالقان ومروالشاهجان ومرو الرود وبادغيس وهراة وأسفزار والطالقان والغور وفارياب وشبورقان وبلخ وترمذ وقباد يان وچغانيان وسمنكان ونوالج والطايقان واندراب وبدخشان وباميان وبنجهير ولجراب وكابل وكشمير.

الإقليم الخامس:

ألزهرة الصادقة ومن المدن رومية وقلورية ومليطيه وبردعه وباب الأبواب وشروان وفراوه وگركانج وخوارزم ودرغان وآموى وبيكند وبخارا واشتيخن ونخشب وسمرقند وخجنده واسروشنه وجاج وقصبه ايلاق واسبجاب والتبت وقُبا والسغد.

الإقليم السادس:

عطارد الصادق ومن المدن القسطنطينية وهرقله والخزر وصيران وطراز واوش واوزكند وبلاساغون وباركند وكاشغر وبرسخان.

الإقليم السابع:

القمر الصادق ومن المدن البلغار وسوار وبحر الروس وصحراء لوره؛ واناسها متوحشون وارض السقالبة ومدينة ايسون التى يذهب إليها البلغاريون للتجارة ويحملون من هناك اشياء ظريفة.

وظهر في الجبال المعادن والجواهر ولكل جوهر نجم متعلق به وينسب إليه ولكل واحده منها خاصية ومنفعه إذا ماشرحتها وبينتها طال هذا الكتاب بما لايليق والغرض منه.

وارزاق جميع الخلق في الجبل والبحر والصحراء مقدرة، وقد قدّروعينّ لكل واحد من الحيوانات وظيفه؛ وامر الموكلين بالأرزاق أن يوصلوا لكل واحد رزقه؛ في وقتهولحظته؛ بلا إنكار أونقص.

وبارادته خلق من التراب كثيف الظلمة والسفلى: هيئة آدم النقى ذي الصفاء واسجد له الملائكة واطلق نداء (ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدي)(١)...، باسمه في عالم الملكوت، وجعله المقدّم وقدوة الأنبياء والأصفياء، وبمشيئته اظهر من النار ذات الضوء اللطيف العلوى ابليس الشقى، وبمعصية واحدة بعد طاعة بضعة آلاف من السنين طرد ولعن وأنزل في شأنه الآية.. (وان عليك لعنتى إلي يوم الدين)(٢)...، وصار زعيم أهل الضلال. واختار من جملة الخلق بنى آدم ورجحهم علي بقية الأحياء وشرفهم بالعقل والتمييز والفهم والحس والذكاء والفطنة والكياسة، وجعل الملائكة الكرام الكتبة والحفظة لهم، وسخر لهم جميع الحيوانات واصطفى منهم الأنبياء والرسل وجعلهم خاصته وخص كل واحد بشرف الوحى وإنزال الكلام المجيد حافظا له العاقبة، وارسل إلي كافة الخلائق حتي يهتدي أهل الضلالة إلى صراط الهداية، وحتى يخرجوا بنور الإسلام من ظلمة الكفر وحتى يعبدوا الواحد الحق ويعلموا أنه الجدير بالعبادة المتفرد بالسجود.

وليعلموا أن يقصدوه لانجاح الحاجات والتوفيق في الآمال، ويشكروه على النعمة ويصبروا

---

(١) سورة طه، آية ١٢٢.

(٢) سورة ص، آية ٧٨.

على المحنة ولايقولوا بشريك للذاته المقدسة والمنزهه.

وبالفضل والعدل قد ظهر سبيلان (فريق في الجنة وفريق فى السعير)[١] .. ، فكل من آمن وسار على طريق الحق وجادة السنة والجماعة يصبح مقرهم الجنة العنبرية مع الحور والقصور والولدان والغلمان، وكل من لم يؤمن ويعصى ويصر علي الكفر ويقول بالشرك يكون وطنه ومقره نار الجحيم والعذاب الأليم والمؤنس والرفيق للشيطان الرجيم ويعلن هذا النداء في العالم، أن (هؤلاء في الجنة ولاأبالى وهؤلاء في النار ولاأبالى ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين)...

ومئات وآلاف الآلاف من السلام والتحيات والرحمة والبركات على الروح المقدسة والذات المطهره سيد الكائنات وغرض الموجودات وقدوة الثقلين؛ وصاحب صدارة قاب قوسين؛ هادى الأمة وشفيع يوم القيامة محمد المصطفى العربى الهاشمى القرشى إلا بطحي المكى المدني عليه الصلاة والسلام وعلي جميع الأنبياء والخلفاء الراشدين والأئمة المهديين. والصحابة الأخيار من المهاجرين والأنصار وآله واتباعه وتابعيهم واشياعه بمنه وفضله.

ومن المعروف لاهل العالم ان درجة ومنزلة الصديقيين والشهداء والعلماء تلى منزلة الأنبياء والرسل عليهم السلام، والعلماء وكذلك الصديقيون مرجحون علي الشهداء مثلما قال الرسول عليه السلام (العلماء ورثة الأنبياء)...، وقال أيضا:

خبــــر

(إذا كان يوم القيامة لوزن مداد العلماء ودم الشهداء فرجح مداد العلماء على دم الشهداء)...

والعالم يستقيم بسبب فتواهم وقدم تقواهم وتعمر الدنيا بسبب بركة علمهم وديانتهم وورعهم، وتفيض بمكانتهم احكام الشرع والعبادات، وباحتسابهم تزول وتختفى المنكرات والمناهى، وبهم ينجلي

(١) سورة الشورى، آية ٧.

الأمر بالمعروف وبوجودهم يقام دين الحق تعالى، ويرتبط بدينهم اقامة حدود السياسة وعدل الملوك، وقد قال الرسول عليه السلام: (الفقيه الواحد اشد علي ابليس من الف عابد) وقال ايضا: (لولا الشيطان لماهنلك بنو آدم ولولا الصالحون لهلك الطالحون ولولا العلماء لصار الناس مثل البهائم) وقال أيضا: (نوم العالم عباده ونفسه تسبيح وعمله متضاعف وذنبه مغفور)....، وكذلك قال: (خير الأمراء من يأتى ابواب العلماء؛ وشر العلماء من يأتى أبواب الأمراء)...، وليعلم الأمراء ان هذا الخبر قد ورد في حق العلماء حتى يتقرب الأمراء والملوك للعلماء ويسمعوا منهم العلم ويأخذوا النصيحة، وكل ما يأمرونهم به يفعلوه؛ وإذا ردوهم عن أى شئ فلايتشبثوا باهدابه حتى يكونوا أفضل الأمراء والملوك. وقد منع العلماء من الذهاب إلى أبواب الأمراء والسلاطين كى لايكونوا أسوء العلماء، وهذا النهي شفقه حتى لايذهبون إلى أبواب الملوك إن كانوا ذوي حاجة؛ وذلك حتى لاينظر إليهم احد بعين الاحتقار ولايكونوا اذلاء وقد اعزهم الله تعالي فقد ذكر التشريف في حقهم؛ يقول الرسول ﷺ (علماء امتى كأنبياء بنى اسرائيل).. وهناك الكثير جدا عن درجة العلماء وفضلهم.

وبعد العلماء يأتى الملوك فقد سماهم الله تعالي (أولو الأمر) ويتعلق صلاح العالم بذواتهم ويعد الامتثال لامرهم وطاعتهم من الفرائض، مثلما ورد في القرآن قوله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولى الأمر)(١)... وقد قال الرسول عليه السلام (من اطاعنى فقد اطاع الله ومن اطاع الامام فقد اطاعني ومن عصانى فقد عصى الله ومن عصي الامام فقد عصانى) ، وقال الرسول ﷺ أيضا (اطيعوا واليكم وإن كان عبدا حبشيا اجدع)... وقال أيضا الرسول ﷺ (لولا السلطان لأكل الناس بعضهم بعضا).. ، وورد في الخبر أيضا (السلطان ظل الله في الأرض يأوى إليه كل مظلوم)...، وهناك بعض احكام الشرع تتعلق بذات وامر الملوك مثل خطبة الجمعة والعيدين واقامة الحدود وتوجيه الخراج والصدقات والغزو والحكم بين الخصوم وسماع الدعوى وأيضا حفظ الولايات في جيوش الأعداء وترتيب الجيش ومنح ارزاق الجند وسياسة مصالح الرعية والعدل بين الناس وإنصاف المظلومين مثلما أمر الرسول ﷺ :

---

(١) سورة النساء آية ٥٩.

خبــــــر

(عدل ساعه خير من عباده ستين سنه) كذلك قال: (عدل ساعة عند الله تعالى خير من عبادة رجل عند الله ستين سنة بقيام ليلها وصيام نهارها)....

وأيضا قمع المفسدين ومحاربة المنكرات والمناهى والبدع وتقصير يد الظالمين عن المال والحياة والضياع وحرمات الناس، ومواساة الخلق والأنفاق وتوزيع بيت المال بالصرف لهؤلاء الناس الذين ذكرهم الله تعالى في القرآن: (إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم)...(١)

وفي بداية الإسلام كانت هذه الصدقات تقسم علي ثمانية مجموعات قسم منها يعطى للمؤلفه قلوبهم، والمؤلفة قلوبهم هم الأشخاص الذين اسلموا يوم فتح مكة خوفا من السيف والمسلمون الذين لم يستقر الإسلام في قلوبهم ولم يثبت ويشتد(٢)؛ وكانوا من عظماء قريش وصناديد العرب . وكان الرسول عليه السلام يعطيهم هذا القسم حتى يثبت قلوبهم مع المسلمين فيثبتوا على هذا وحينما تستريح قلوبهم مع المسلمين وتستقر ويحسن ويقوى اسلامهم ينسخ حكم المؤلفة قلوبهم ويعود قسمهم للأقسام السبعة الأخرى.

والآن نوضح أن المؤلفة قلوبهم كانوا ثلاثة عشر فردا :

الأول : أبو سفيان بن حرب الأموى .

الثاني: حكيم بن حزام الاسدي .

الثالث: الأقرع بن حابس التميمى .

الرابع: عيينه بن حصن الفزارى .

---

(١) سورة التوبة، اية ٦٠.

(٢) في الأصل (ثابت وشيرين نشده) وكلمة (شيرين) لاتتفق في المعنى مع سابقتها (ثابت)، ويبدوا أنه قد حدث تصحيف من الناسخ بين كلمتى (شيرين) وكلمة (شديد) فهى اقرب إلى انسجام المعنى، وإلا فان معنى الجمله (لم يستقر السلام في قلوبهم ولم يثبت ويحلو لهم).

الخامس: حويطب بن عبد العزى العامري .

السادس: سهل بن عمرو العامري .

السابع: أبو السنابل بعكك .

الثامن: مالك بن عوف النضري .

التاسع: صفوان بن امية الجمحي .

العاشر: عبد الرحمن بن يربوع المالكي .

الحادي عشر: جد قيس السهمي[١] .

الثاني عشر: عمرو بن مرداس السلمي .

الثالث عشر: علاء بن الحارث الثقفي .

ومن الواجب على الملوك بل هو فريضة أن يعطوا في كل عام من بيت المال كما أمر الله تعالى هذه الجماعات السبع، و يخرجوا أنفسهم من الوصية، وألا يغتر بعض الملوك بانتحال هذا الرزق وليحرروا أعناقهم منه؛ فإنهم إن لم يعطوا هذه الطائفة في الدنيا يقبضون عند القيامة، وهذا صعب جدا.

والجماعات السبع التي يجب أن يعطى لهم هم الفقراء والمساكين والأشخاص الذين يحصلون مال الصدقات والخراج[٢]، والعبيد الذين من الممكن أن يكون لدى سادتهم صكوك حريتهم، وهم ليس في أيديهم فليعطوا قدر مال الصكوك ويحرروا[٣]. والأشخاص المدانون بقروض كثيرة عليهم وسجنوا بموجب الشرع[٤]، والأفراد الذين خرجوا في سبيل الله حتى يقوموا بالفريضه ولم يكن في أيديهم مايشتروا به الخيل والسلاح مثل المجاهدون، والأشخاص الذين خرجوا يتأجرون ومن الجائز أن

---

(١) هو ابن الزعبرى السهمي، اسلم قبل ان يقتل يوم فتح مكة وكان قد أباح رسول الله ﷺ دمه ولكنه اسلم قبل أن يعرض له (ارجع إلي البلاذري، فتوح البلدان، راجعه رضوان محمد رضوان، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٨٣، ص٥٤)

(٢) المقصود العاملين عليها.

(٣) المقصود في الرقاب.

(٤) المقصود الغارمين.

قطع عليهم الطريق وسلب المال من أيديهم وكانوا بعيدين عن دورهم ومدنهم وبقوا في غربتهم فقراء بلا شئ[١]، وهؤلاء هم الجماعات السبع التى اوصت بهم الفريضة.

شئ آخر، خزائن الأحسان والتي اقيمت لهم أيضا على التواتر مثل المبرات والصدقات والصلات والهدايا وهي للعلويين والأشراف والعلماء والفقهاء والمقربين والرجال المصلحين والأشخاص الذين انحدروا من غنى لفقر، والأفراد الذين لايسألون أحدا شئ خجلا، والأرامل واليتامى والبؤساء من الغرباء والمقيمين فهم أيضا لهم حق في بيت المال.

شئ آخر، يشرع في عمارة المساجد والمدارس والجسور والآبار والرباطات التي علي المضايق والمخاوف والسبل، وعمارة الربض والقلاع حتى يأمن المسلمون والقادمون والراحلون وتحمى ارواحهم واموالهم وحرماتهم من يد اللصوص والمفسدين، فان رعاية عبيد الله في رقابهم فالرعية أمانه. وقد أمر الله عز وجل جلت عظمته بأنه يجب عليهم حماية مصالحهم .

أما اردشير بن بابك وهو من جملة ملوك العجم وكان مجوسيا عابدا للنار، واثاره الحميده وخصاله الرائعة قد بقيت كثيرة علي وجه الزمان وهذه احدى كلماته المفعمة بالحكمة: لن يقوم الملك إلا بالرجال ولا الرجال إلا بالمال ولا المال إلا بالرعية ولا الرعية إلا بالعدل ولا العدل الا بالسياسة. وهكذا فانه لاقائمة لملك أبدا إلا بالرجال ولا قائمة للرجال إلا بالمال، والمال لايملك في اليد إلا بالرعية، والرعية لاتهدأ وتستريح إلا بالعدل، ولايثبت العدل إلا بالسياسة.

وقد قال الرسول ﷺ : (العدل ميزان الله في الأرض)... أي حينما يوزن حجر فى كفه ميزان فانه يستقيم إذا ماوزن فى مقابله ما يسويه ولايعتريه نقص أو تقليل. وقد ظهر الخراب علي وجه عالم الزمانَ وتراجع الإسلام مثلما قال الرسول عليه السلام: (الإسلام بدأ غريبا وسيعود غريبا كما بدأ فطوبى للغرباء) ... كذلك قال: (إن الإسلام ليأرز إلي المدينة كما تأرز الحية في جحرها)...

---

(١) المقصود ابناء السبيل.

وفي هذا الوقت من القرن السابع والذي كانت فيه الدنيا تعج بالفتن، وكان قد تسلط واستولي قوم من الغز المفسدين المخربين الطغاه على مملكة غزنين، واختار الناس الأهل الأصليين الجلاء بعيدا عن ظلمهم، ورحلوا تاركين الضياع والأسباب والبيوت والأراضي. وكان قد ظهر أيضا في هذا القرن ملك من اسرة قديمة مظفر هو السلطان السعيد الشهيد معز الدنيا والدين محمد بن سام(١) الناصر امير المؤمنين تغمده الله برحمته وغفرانه واسكنه بحبوحة جنانه، وكان نسبه مباشرة لبيوراسب الذي اطلقوا عليه الضحاك وكان ملكا لألف عام. وكانوا عي التواتر ملوك وولاه.

وقد أغار على هؤلاء المفسدين واستولى علي دار الملك غزنين(٢) حرسها الله.

وسكن في هذا المكان واقام فيه بسبب أن دار الملك غزنين افضل ممالك العالم وهو بهذا قد اختار مكان الملوك العظام العدول. وكان تحت سيطرته من شاطئ جيحون ترمذ حتى شاطئ البحر المحيط. وزّين الدنيا بالعدل وعمرها بالفضل ومهد بقاعدة الشرع بناء السلطنه والسياسة وأقام سنة الفتح، واغار على أهل الكفر والقرامطة والمفسدين والملاحدة وتزينت الدنيا بعدله وأمنت الطرق الموحشة المقفرة فكان يأتي النواب والتجار حاملين دائما المال الكثير والبضاعة من الطرق البعيدة ليلا ونهارا وكانوا يجلبون بضائع نفيسه وقماشات غريبة لم يرها أحد من قبل. وفي ظل عدله وأمن ورعاية هذا الملك العادل الغازى نور الله مضجعه فان الاشخاص الذين لم يكن في بيوت الاجداد

---

(١) هو معز الدنيا والدين محمد بن سام الغورى شقيق غياث الدين محمد بن سام وكان كلاهما يدعى محمد واختلفا فقط في اللقب. تولي غياث الدين الحكم بعد مقتل ابن عمه سيف الدين أثناء حروبه مع الغز وكان اخوه معز الدين خير معاون له في حكمه، أبوهما هو السلطان بهاء الدين سام بن حسين السلطان الحادى عشر من سلاطين الغور، وأمهما ابنه بدر الدين كيلان أحد امراء الغور. عاش معز الدين محمد بن سام في البداية عند عمه الملك فخر الدين مسعود في الباميان ثم التحق بخدمة اخيه غياث الدين في فيروز كوه حينما تولي الأخير الحكم مما جعل غياث الدين يكرم وفادته ويعينه قائدا للجيش ويمنحه ولاية استيه وولاية كجوران ، عاون معز الدين أخاه غياث الدين في جميع فتوحاته حتى اتم الله لهم فتح غزنه عام ٥٦٩هـ فجلس معز الدين على عرش غزنه نائبا عن اخيه، ومنها انطلق إلي فتح الهند وحقق انتصارات كثيرة بها حتي انه ليقال ان معز الدين قد جعل الهند أحد المراكز الهامة للغة الفارسية لمدة قرون، تولي معز الدين الحكم بعد اخيه غياث الدين ولكنه سرعان ما لحق باخيه بعد انهيار الدولة الغورية في فيروز كوه على يد الخوارزميين. (ارجع إلى ملكة على التركى، السلطان الغورى غياث الدين محمد بن بهاء الدين، القاهرة، ١٩٨٧، ص ٢، ٦، ١٢، ٣٤.

(٢) تم فتحها في عام ٥٦٩هـ واصبحت احد مراكز الدولة الغورية.

والآباء والأقرباء ولو عبد هندى حقير وحمار فانهم قد اصبحوا في ظل عدل وامن ورعاية هذا الملك ومن إقباله وعظمته صاروا يمكلون جماعات وجماعات من الغلمان من كل جنس، وطاسات وطشوت، وقطعان خيل، وقطار وراء قطار من الجمال والبغال، واصبح منهم الفرسان والشيوخ وقواد الجيش واصحاب الطبل والراية والنوبة والسلام الملكى والولاية. ولم يتجرأ شخص قط ان يستولي ويغتصب ظلما من شخص آخر باقة طازجه أو ورقة عشب أو كسرة خبز أو درهم فضى أو ينزل ضيفا في بيت الرعية. وقد اغلق باب الظلم وفتح طريق الامن والعدل.

ومن عديد الهبات التى منحها الله تعالي لذلك الملك العادل كان العبد صاحب الأقبال والدولة الملك قطب الدين[1] عز نصره والذي اسر بالكرم والسخاء والبذل مئات الآلاف من الاحرار ولم يكن لأى ملك قط مثل هذا، ولم يشار لأحد بمثله.

وأول ما وهبه الله تعالى من موهبة وإحسان كان في أيام الصبا حينما حضر من التركستان إلى دار الإسلام وجلس في نيسابور بين يدي امام عالم ذي فنون، ومتبحر ومتقى، جم الفضل، متدين من ابناء الامام العالم ابي حنيفة رحمه الله عليه، وكان في أيامه وعهده يلقب بابي حنيفه الثانى ويقال له القاضى فخر الدين الكوفي* وتعلم القرآن في بيت هذا الإمام العظيم وتلي القرآن ببركة رعايته واصبح معروفا بهذا اللقب. وقد كان التركان يعروفون باللعب والجرى ولعب النرد والشطرنج وكان هو مشهورا بقراءة القرآن. وبسبب بركة قراءة القرآن ظهر عليه الاقبال والدولة والتوفيق؛ ومن بيت ذلك الامام العالم المعظم التحق بخدمة الملك العادل الاعظم، وكان اثره علي ملك الاسلام مبارك؛ ففى كل يوم تزداد رقعة المملكة. وحينما رأى السلطان الغازى -انار الله برهانه - بالفراسة

---

(١) هو قطب الدين ايبك احد مماليك الغوريين، كان مملوكا لمعز الدنياوالدين محمد بن سام الغوري نائب غياث الدين محمد بن سام الغورى على غزنه وصاحب الفتوحات العظيمة في الهند والتي اتم بها جهود محمود الغزنوى في نشر الإسلام بالهند. يعد قطب الدين ايبك المعزى اول سلاطين الدولة الغورية بالهند بعد قضاء الخوارزميين على الدولة الغورية في غورستان وعلي عاصمتهم فيروزكوه. تولى الحكم في لاهور عام ٦٠٢هـ وتوفى اثر سقوطه من علي حصانه في عام ٦٠٧هـ (ارجع إلي منهاج سراج، طبقات ناصرى جلد اول، چاپ دوم، كابل، ١٣٤٢ ش، ص٤١٧، ٤١٨).

* هو قاضى القضاه فخر الدين بن عبد العزيز الكوفى (طبقات ناصرى، جلد اول، ص٤١٧).

الملكية محامد دولته ومآثر اقباله رباه كابن عزيز غال وبالغ في تربيته وجعله قائد جيش كهرام*.

وكانت بداية التوفيق من كهرام، وكان هذا فأل حسن جدا، وكان الرسول (ص) يحب الفأل الحسن؛ فقد كان إذا ما سأل شخص عن اسمه، او وصله شئ فان كان اسمه حسنا وسمع كلاما طيبا قال: (اخذنا فألك من فيك، خير الفأل من الله والطيره من الشيطان)...

ولما كانت بداية الدولة من كهرام فان ذلك كان اشارة لان جميع جبال الذهب والفضة ونعم الهند التي في خزائن الملوك وراجات[1] الهند قد اصبحت وفق امره يفعل بها مايشاء وينفقها، وقد كانت هكذا حقا.

وكان هذا التوفيق في سنة ثمان وثمانين، ففي عام الفتح هذا هزم جيش كوله واسر راجا اجمير[2] واستولى على اربعة عشر فيلا، وفتح قلعة دهلى وقلعة رنتنبور، واحضر اربع بطيخات ذهبية بوزن ثلاثمائة من، وارسل هذه البطيخات الذهبية الاربع إلي السلطان غياث الدنيا والدين -نور الله حفرتهما- وقد امر السلطان غياث الدين رحمه الله بان يحملوها إلي بهريو ويعمروا بثمنها مسجد الجمعه ومحرابه ومقصورته. فما أكثر الثواب لهذا الشخص من كل من يصلى في هذا المسجد ويقرأ القرآن ويدرس العلم ويعتكف، وما أكثر الثواب المدخر لهذا الملك[3].

---

* كهرام اسم قديم لاحد مدن الهند، لم نعثر له على اشارة في اي من كتب الجغرافيين من امثال ياقوت الحموى والمقدسى ولسترنج.

(١) راجا تعريب للكلمة الفارسية (راى) وهى لقب حكام الهند وملوكها في القديم.

(٢) في عام ٥٨٣هـ حدثت معركة بين شهاب الدين الغورى (وقد تحول لقبه إلي غياث الدين محمد بن سام الغورى بعد توليه الحكم) والحاكم الهندي كوله حاكم قلعة اجمير انهزم فيها شهاب الدين الغورى وجرح، فصمم على معاودة الكرة مرة أخرى والانتصار علي كفار الهند، وقد حدث هذا في عام ٥٨٨هـ وهزم كوله واستولي شهاب الدين علي قلعة اجمير وعلي اموال عظيمة من الهند واخذ جميع البلاد التي تقاربه واقطعها لمملوكه قطب الدين ايبك وعاد إلي غزنه حيث قتل ملك الهند. (ارجع إلي ابن الأثير، الكامل في التاريخ، جـ٩، ص١٨٩، ٢٢٣).

(٣) جاءت هذه الكلمة في النص (المالك) واغلب الظن انها مصحفه. والصحيح (الملك) فهى بهذا تستقيم مع سياق النص.

وفي سنة تسعين من الفتح اسر راجا جيت چند، وكان قد احضر مائة فيل واستلم كثير من الغنائم يصعب ان يحصرها استيعاب وقياس أي آدمي وكان فتح اجمير في سنة إحدي وتسعين.

وذهب ملك الإسلام إلي گواليور(١) في سنة اثنتين وتسعين واثناء خدمته فتحت تهنكيرى.

وفتحت نهروا له(٢) في سنة ثلاث وتسعين، واحضر جيش الإسلام غنائم أكثرها من الذهب الأحمر، ووهب الأمتعة العينية وجميع الغنائم للجيش واحضر ثلاثون فيلا بلا مثيل وارسلها لخدمة السلطان.

وكان فتح قلعة بوداون في سنة اربع وتسعين وخُربت بيوت أصنام بنارسي.

وفي سنة خمس وتسعين استولى على چنتروال وفتحت قنوج وفتحت ولاية سروه.

وكان فتح مالوه ونواحيها في سنة ست وتسعين.

وفتحت گواليور في سنة سبع وتسعين واستولى على غنائم كثيرة.

وذهب إلى خدمة سلطان الإسلام(٣) في سنة ثمان وتسعين حتى يحثه على فتح الهند بالسيف، وتسلم خراسان في حضور صاحب الراية العالية والولاء ملك الإسلام(٤) رحمه الله. وكان من الواضح لملك الإسلام- نور الله حفرته- ومعلوم له أن مصالح الهند لا تستقيم بمشيئة الله بـــدون

---

(١) قد تكون هي (گواليا) القلعة التى حاول محمود الغزنوى فتحها في حروبه في الهند عام ٤١٣هـ (ارجع إلي عباس پرويز، تاريخ ديالمه وغزنويان، تهران، ١٣٣٦، ص٢٦٧).

(٢) يذكر مباركشاه هنا ان فتح نهرواله حدث في سنة ثلاثة وتسعين وخمسمائة في حين يذكر ابن الأثير في حوادث سنة سبع وتسعين وخمسمائة ان شهاب الدين الغورى قصد بلاد الهند في العام المذكور وان مملوكه قطب الدين ايبك قد وصل نهرواله سنة ثمان وتسعين واشتبك مع عسكر الهنود وفتح نهرواله عنوه فهرب ملكها وجمع وحشد الهنود لاسترداد نهرواله، مما جعل شهاب الدين يصالح صاحبها على مال يؤديه إليه عاجلا وآجلا وأعاد عسكره عنها وسلمها إلى صاحبها.

(ارجع إلى ابن الأثير، الكامل، جـ٩، ص٢٥٥).

(٣) المقصود غياث الدين محمد بن سام الغورى.

(٤) المقصود معز الدين محمد بن سام الغورى.

وجود ملك العالم وبطل الهند(١) -زاد الله من رفعته- وبسبب غياب الذات المباركة فقد وقعت متاعب كبيرة لأن المسافة بينهما بعيدة، فصدر الأمر وعادوا من منتصف الطريق.

وفتح كالنجر(٢) في سنة تسع وتسعين واستولى علي غنائم كثيرة لاتحد ولاتحصر.
وفي سنة ستمائة فتحت بدور.

وذهب إلى پرشور(٣) في سنة إحدي وستمائة لخدمة سلطان الإسلام وكان قد عاد من خوارزم واندخود(٤) بعد أن أصيب بجرح في عينه.

وقد سعد بالمثول بين يديه ثم عاد إلي مركز دهلي بالخلع واللطائف التامة، وقد بذل في ضبط

---

(١) المقصود قطب الدين ايبك المملوك الغوري والذي اصبح ملك الهند بعد وفاة معز الدين الغوري.

(٢) هي كالنجر أو كالنجار، وبها قلعة مشيدة علي جبل عال، سبق أن حاصرها السلطان محمود الغزنوي في فتحه للهند وعقد معاهدة صلح مع (ننندا) حاكمها الذي دفع الجزية للسلطان محمود وكان ذلك في أحداث عام ٤١٣هـ (ارجع إلى عباس پروين، ديالمه وغزنويان، ص٢٦٧).

(٣) هي مدينة پيشاور وتقع في افغانستان.

(٤) يشير إلى حرب خوارزمشاه مع شهاب الدين الغوري (هو غياث الدين محمد بن سام) وكان القراخطائيون يناصرون محمد بن خوارزمشاه بجيش غفير بقيادة القائد تاينكو يصحبه عثمان سلطان سمرقند، مما أدى إلى تقهقر الغور على عجل فاقتفى محمد بن خوارزمشاه اثرهم إلى هزراسب وهزمهم ثم عاد إلى گرگانج ليحتفل بانتصاره. أما القراخطائيون فقد تابعوا الغور وحاصروا جيشهم قرب اندخود. (ارجع إلى ابن الأثير، الكامل، ج١٢،ص١٢٢). ثم نشبت معركة في بداية صفر ٦٠١هـ- الموافق ٢٨ سبتمبر ١٢٠٤م)- ودامت المعركة يومين وانتهت بهزيمة الغور واضطر شهاب الدين إلى أن يغلق علي نفسه بقلعة اندخود. وعز على عثمان سلطان سمرقند وهو مسلم ان يرى سلطان الإسلام يقع أسيرا في يد الكفار لذا فإنه عرض وساطته التي قبلت من الطرفين وسمح القراخطاى للغور بالرجوع إلى بلادهم بعد أن اجبروهم على افتداء ارواحهم. وتنازل شهاب الدين عن جميع ما كان بيده للقراخطاى ومنهم أربعة أفيال قتلهم حتى لايحصل عليهم القراخطاى. ثم رجع شهاب الدين إلى غزنه حيث كانت الإشاعة قد انتشرت بموته مما سبب بعض الاضطرابات، وبعد أن أعاد الأمور إلى نصابها عقد صلحا وحلفا مع محمد بن خوارزمشاه. ويبدو أن هذا الأخير كان قد تمكن من وضع يده على جميع مدن خراسان عدا هرات التي ظلت حتى لحظة وفاة شهاب الدين المدينة الوحيدة من بين مدن خراسان الموجودة في قبضة الغور. (ارجع إلى بارتولد، تركستان من الفتح العربى إلي الغزو المغولي، ترجمة صلاح الدين هاشم، الكويت، ١٩٨١، ص٥٠٤، ٥٠٥)

الولاية وتأسيس الجيوش وترتيب الحشم الكثير. وقد ظهرت الآثار التي تدل على الرجولة والقيادة والفتح منذ أول يوم في الدولة وحتى هذا التاريخ، مما جعل كل حدث يؤرخ به للعصر على الرغم من أن كل فتح وهبه الله تعالي له هو اوضح من الشمس ومعروف لأهل العالم.

أما خضوع وولاء قائد الجيش حسام الدين أحمد علي شاه -زاد الله اقباله- لملك الإسلام عز نصره فهو قديم حيث لم يغب من قبل عن ركابه، وكان حاضرا في الفتوح والغزوات، وتفاصيل هذا الولاء واضحة ومسطورة. وان جميع خدم هذا البلاط من الأفاضل والأدباء والعظماء، ويعد كل واحد منهم فريدا في الرجولة، وقد نالوا حظا وافرا ونصيبا كاملا من إقبال وخلود ملك الإسلام، وحظى كل واحد من التدليل والاهتمام ما هو معروف ومشهور. ومن هذا الجمع منح البعض قيادة الجيش(١)، والنوبة(٢)، والاعتاب السلطانية(٣)، والطبل، والراية(٤)، والولاية، وقد ظهر على كل واحد أثر الاهتمام ونال الشكر. وقد ضبط الحشم المنصور ممالك الهند بعون الله تعالي وبعد نظر الملك، وبالقوة العضلية وسيف القهر والتضحية. وكان تحت سيطرته من شاطئ البحر المحيط وحتى ذلك المكان الذي تطلع عليه الشمس. واغار على كفار اقوياء وراجات عظام وكثير من الفيلة والجيوش، وادخل بعضهم في ربقة الطاعة واصبحوا مسلمين، وصارت مدن الكفر بلاد اسلام وعبدوا الله الصمد بدلا من الأصنام، وصارت بيوت الأصنام مساجد ومدارس وخانقاهات. وفي كل عام يسلم بضعة آلاف من الكفار والكافرات ويتبعون الوحدانية الحقة ويعملون بالإسلام حتى يستحقوا الجنة كما قال الرسول عليه الصلاة والسلام :(عجب ربنا من أقوام يعلون إلى الجنة بالسلاسل)...

---

(١) يسمى بالفارسية (سپاه سالار) وتكتب بصور مختلفة (سپهسالار، اسفهسلار، اسفهسالار، سپاه سلار). ويعبر عن هذا المقام احيانا بزعيم الجيوش أو أمير الجيوش. وهو مركز هام في العصر الغزنوي، ثم الغوري الذي أخذ هذه النظم عن الغزنويين. ومهمة قائد الجيش هي قيادة الجيش في الحرب والسلام وتحديد مهام الجيش وتشكيلاته. (ارجع إلى حسن انوري، اصطلاحات ديواني دوره غزنوي وسلجوقي، تهران، ٢٥٣٥ش، ص ١٣٢، ١٣٣)

(٢) صاحب النوبة هو الحارس الخاص بباب الأمير أو السلطان والمصاحبين لضيوفه عند الحضور أو الانصراف (انظر، اصطلاحات ديواني، ص٢٦٨).

(٣) بالفارسية (سراپرده)، وهي خيمة تقام بالقرب من خيمة السلطان أثناء سفره، يجلس بها الحراس أو الموكلين بامن الملك أو السلطان (اصطلاحات ديواني ص٤٠)

(٤) وهي اللواء والعلم ويكنى بام الحرب، وهي الراية الخاصة بالسلطان (اصطلاحات ديواني، ص٢٤٦).

وكل ابن يأتي من نسلهم وعقبهم يحمد الله ويثنى عليه ويطيعه ويقرأ القرآن ويتعلم العلم، ويقدر ثوابهم بقدر ما يدخر ملك الإسلام من ثواب.

ولاقبال ونجاح الدولة العليه - اعلاها الله- كان أقل العبيد وأحقر الخدم يحضرون قطيع من الفيلة وراء قطيع؛ ويرسلون ما هو حمل فيل من الذهب وراء حمل. وكان ينفق كل هذا الذهب على الصلات والمبرات والصدقات حتى يغنم الصيت الطيب في الدنيا والتوفيق في الآخرة.

وجاء ملك وكسرى العالم إلي حدود الهند سنة اثنتين وستمائة وجمع جيوش ممالك الهند، واستدعى ابطال وملوك الهند بجيش جرار وأمر بغزو قبائل كوكران[1] وسيهان وجمتان وهرهران ونهرنان واندهان ورامبالان وأهل جبل جود، وكانوا قد تجمعوا منذ مدة واعدوا التشكيلات والاستعدادات للحرب، وغرهم كثرة عددهم فلم يدركوا أمر الأبطال والأماكن الحصينة وكثرة السلاح ودروع جيش الإسلام، ولم يقدروه حق قدره، وساروا في طريق المكابرة وقتلوا المسلمين وصنعوا الفواحش وجروا الولاية بافسادهم إلي طريق الخراب، ففر الناس عن مساكنهم ووطنهم وقطعت اغلب الطرق من الرائح والآت. واحتار المسلمون حتى وهب الله سبحانه وتعالي الفتح والنصر لملك وجيش الإسلام، وبقى تذكارا على وجه الزمان و صار تاريخا لأهل العالم. واغاز على مايزيد عن مائتين

---

(١) يشير إلي قتال شهاب الدين الغورى قبائل بنى كوكر عام ٦٠٢هـ. وكان قد ذاع خبر مفاده مقتل شهاب الدين الغوري في قتاله مع الخطا عام ٦٠١هـ، مما أثار المفسدين في اطراف البلاد ومنهم دانيال صاحب جبل الجودي، فانه كان قد اسلم فلما بلغه خبر مقتل شهاب الدين ارتد عن الإسلام وتابع بنى كوكر ومساكنهم في جبال بين لها وور والمولتان حصينة منيعة وكانوا قد اطاعوا شهاب الدين وحملوا له الخراج فلما بلغهم خبر وفاته ثاروا فيمن معهم من قبائلهم وعشائرهم واطاعهم صاحب جبل الجودى وغيره من القاطنين بتلك الجبال ومنعوا الطريق من لها وور وغيرها إلى غزنه، فلما بلغ شهاب الدين اشاعة مقتل قطب الدين ايبك، ارسل لنائبه محمد بن ابي علي يأمره بحمل خراج سنة ستمائة وسنة أحدى وستمائة ولكنه اخبره بقطع الطريق وعدم امكانه ارسال المال، فأمر شهاب الدين مملوكه قطب الدين ايبك بدعوه بنى كوكر للطاعة فلما أبوا امره بان يعد الجيش في دهلى تأهبا للخروج لقتال بلاد الخطا، ولكنه عدل عن ذلك لما سمعه من ظلم الهنود للمسلمين والتقى مع جيش قطب الدين ايبك وانتصروا علي الهنود وغنموا غنائم كثيرة، حتى أن ابن دانيال صاحب جبل الجودى استجار بشهاب الدين وشفع له قطب الدن ايبك، فشفعه واخذ منه قلعة الجودى .

(انظر ابن الاثير، الكامل ج٩ ص٢٧٠، ٢٧١)

ألف لص قاطع طريق مفسد قتلوا المسلمين واغاروا واسروا نساءهم وأولادهم، وغنم جيش الإسلام غنائم لاتعد ولاتنتهي لم يغنم مثلها طوال مائتين عام. وتصدق بجميع الفئ[١] والغنائم والتي بلغت مبلغا خطيرا من الذهب والفضة والمتاع والقماش والخيل والجمال والبقر والأغنام والشياه والتي لايستطيع أن يستوعبها مخلوق او يحصيها محاسب. وجعل غزو هذا المكان سنة قائمة يدخرها حتى القيامة، وأمر الملك بأن يخاطب ببطل وفاتح الهند واعطاه ولاية عهد الهند من باب پرشور وحتى أقصى بلاد الهند، وفوّض إليه عقد جميع الممالك واعتبره نائبا عنه وولى عهده في دار الملك الهند، واعاده إلى مركز دهلي حتى يعمل الناس بهذا الأمر، ثم توجه إلى دار الملك غزنين حرسها الله.

وحينما وصل إلى دميك[٢] استشهد كما قدر وحكم الله عز اسمه منذ الأزل وانتقل إلي رحمة الله تبارك وتعالى، فليرحم الله هذا الملك الشهيد بكرمه ورحمته وليغفر للملك المعظم العادل الغازى المجاهد وارث اعمار هذا الملك ولتمنحه من الاقبال والعظمة والملك والسلطان مايليق به بمنه وفضله.

وحينما استبانت هذه الواقعة العظيمة والحادثة الصعبة والتي قلما يحدث مثلها في العالم، تحير أهل العالم واضطربت عقولها فقد اصبح الناس بلا رئيس وزعيم وملك ولم يبق حامى وراعي لعبيد الله.

وحينما وصل هذا الخبر الهائل المحزن إلى حدود دهلي وقد كان الملك المعظم العادل الغازى اعز الله انصاره في الاطراف؛ فلما وصل إلى سمعه المبارك هذا الخبر المحزن المفجع عاد إلي مركز دهلى وكان جزعا ضيق الصدر إلى أقصى حد وذلك لأن المُلك لايليق إلا لمثل هذا الملك.

---

(١) الكلمة في متن الكتاب (عئ وغنايم) ولاشك في أن بها تصحيف، والصحيح (فئ وغنايم) بالفاء وليس العين. (المترجمة).

(٢) في أول ليلة من شعبان من عام ٦٠٢هـ قتل شهاب الدين أبو المظفر محمد بن سام الغوري ملك غزنه وبعض خراسان بعد عودته من لهاوور في مدينة يقال لها دميك وكان ذلك وقت صلاة العشاء. وقد اختلف في قاتليه فيقال هم من كفار بنى كوكر الذين لزموا عسكره عازمين على قتله لما فعل بهم من قتل وأسر وسبى. وقيل هم من الإسماعيلية وكانوا يخشون قوته وخروجه لحربهم حيث كان له عسكر يحاصرون بعض قلاعهم (انظر، ابن الأثير الكامل، ج٩، ص٢٧٢).

ومكث عدة أيام لايخرج ولم يأذن أو يشرع في أمر قط وتعطلت جميع المصالح بسبب هذه المصيبة العامة فقد توحد جميع أهل العالم فيها.

وحينما الهم الله سبحانه وتعالي -فهو ملقن صاحب الدوله- أن يمحو حزن ممالك الهند، وان يرعي مصالح جميع رعاياها خاصة رعايا لوهور فهى مركز اسلام الهند ثم دار الملك غزنين حرسهما الله، فقد كان للملك الشهيد -نور الله حفرته- نظرة ود تخص هؤلاء الرعايا. ولما كانت الرعاية والعناية هى سنة الملك الحميدة لذا يجب أن يختص بها أيضا مخدومه بموجب انه ولي العهد ومنسوب إليه، لذا كان من الواجب أن يحرص على اقامتها. فاذا ماصح العزم في أمر هو جد عظيم، توكل علي الله، وذلك كما أمر الباري تعالى وبينه في القرآن المجيد، في قوله تعالى : (فإذا عزمت فتوكل على الله إن الله يحب المتوكلين)(١)...

وجاء إلى دار الملك لاهور من دهلى في يوم طالعه ميمون ونهاره مبارك وفي ساعة مسعوده مكللا بالفتح والظفر، سائرا في حر شهر آها(٢). وقد تعب الجيش بسبب الحر كذلك الخيل والجمال(٣) التي كانت بلاماء ولاعلف. ولما كان قد جاء لأجل حفظ الولاية ورعاية الرعية ومصالح أهل الإسلام وضبط الملك تبدل الحر والتعب إلي سهولة ويسر.

وفي يوم الثلاثاء الثانى عشر من ذى القعدة سنة اثنتين وستمائة ظهرت الرايات العالية بظاهر لاهور، فدخل قرية (داد يوه) وأمر بالنزول هناك وقد خرج لاستقباله جميع أهل الرقعة دفعة واحـدة

---

(١) سورة آل عمران،آية ١٥٩.

(٢) تخلو شهور السنة الإيرانية من شهر باسم (آها)، كذلك التقويم الهندى. وإن كان الگرديزى يذكر عيدا للهنود يسمى (آهارى) ويمتد طوال شهر (إشار) من التقويم الهندى، ومن الجائز أن اسم العيد صار مرادفا لاسم الشهر الهندي فيطلق عليه شهر (آها) اختصارا لاسم العيد (آهارى) او شهر (إشار) ومن الواضح من لفظه مهاكشاه ان هذا الشهر كان احد شهور الصيف شديدة الحرارة.

(انظر الگرديزى، زين الاخبار، ج٢، ترجمة عفاف السيد زيدان، القاهرة، ١٩٨٢، ص٤١٩، ٤٢٥).

(٣) الكلمة في الأصل (شتور)، وفي سياق معنى الجملة (شتر)، ويبدو أن قلب الضمة واوا كان احدى اللهجات الفارسية في هذه الفترة.

بين قضاة وائمة وسادة، وأهل الصنعة وذوى المناصب، والعمال، والجند، والسوقة والحقير والشريف والقوى والضعيف والغنى والفقير. وقد ابتهجوا وشكروا وحمدوا الله تعالي ودعوه؛ فان كان قد قدر الله عز اسمه ان تنكسف الشمس عن سماء السلطنه فانه بحمد الله ومنته قد طلع بدر وافر الضياء وساطع. وإذا كان قد سقط من بستان المُلك دوحة عظيمة، فالحمد لله أن صار الغصن الأخضر قويا مظللا مثمرا عاليا. وإن كان قد اندك في ارض المملكة جبل عالى ملئ بالمعادن والذهب والجواهر، فقد ظهر بحر زاخر ملئ بالدر واللؤلؤ، وإذا كان قد استشهد بطل فاتح من الجيش فالحمد لله ان ظهر من نفس الصف مبارز فاتح للقلاع.

وقد عوض الله بهذه الهبة كى تقوم مقام هذا الملك الشهيد المغفور فليهبه من العمر والإقبال والدولة والملك والأمة ما يليق به، وليخلد ظل دولته علي الخلق ولتضئ شمس دولته على العالمين بمنه ونعمه.

وفي يوم الثلاثاء التالي الثامن عشر من هذا الشهر نزل في ساعة مباركة وميمونه وطالع موفق وسعيد الملك المؤيد المظفر المنصور العادل المجاهد الغازى قطب الدنيا والدين وكهف الإسلام والمسلمين اكرم الملوك والسلاطين ، ظهير الأيام ، مجير الآنام ، جلال الدولة كمال الملة ، قامع الكفره والمتمردين ، قاتل الفجرة والمشركين ، حامى البلاد راعي العباد ، ناصر الإسلام ، كاسر الأصنام ، شهريار الزمان ابو الفوارس ايبك السلطاني نصير امير المؤمنين، اعلى الله شأنه وخلد ملكه وسلطانه ؛ نزل المدينة بقصر همايون مظللا بالسلطنة والتوفيق والنصر والفوز. وهكذا ضبطت المملكة بحكم أمر الملك ومخدومه ولى العهد وبالألهام الآلهى والخبرة بالحكم والرأى الصائب، وجعل القاعدة والأساس هذه الجملة التي تقول:

أنت افمت الملك وسست المملكة(١)

---

(١) الجملة في الأصل (هميشه پادشاهى كردستى، وممكلت رانده). ويشير الفعل (كردستى) إلى لهجة نيسابور. ويوضح المقدسي لهجة أهل نيسابور وخصائصها ومنها انهم يكسرون اوائل الكلم، ويزيدون الباء مثل (بيگو، بيشو)، ويزيدون السين بلافائدة مثل (بخوردستي، بكفتستى، بخفتستى) ولهجات خراسان خمسة وهي : اللهجة السجستانية، اللهجة النيسابورية، اللهجة المروزية، اللهجة البلخية، واللهجة الهروية. وغيرها من اللهجات تبع لها ومشتق منها. (انظر، المقدسي، احسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، الطبعة الثانية، ليدن، ١٩٠٦، ص٣٣٤، ٣٣٥).

واسس العدل على هذه الجملة. ورغم عديد الجيوش التي كانت ضمن راياته العالية من الترك والغوريه والخراسانيين والخلجيين وحشم الهند من (مدن) راتكان وتكران وباسعيدان وتفاريق، فلم يكن لمخلوق ان يخشى استيلاء شخص ولو علي ورقة عشب أو كسرة خبز أو حمل في صحراء أو طير في عمران، أو أن يستلب بيت للرعية. وقد أقام بالعدل سُنّة الملك الشهيد فقد خدم له وتربى في كنفه وتعلم عنه.

وكان بداية اهتمامه باهل المدينة أن أمر بأن تحدد لأصحاب الأملاك المسلمين ملكياتهم، وأن يقبضوا خراج الأملاك، والذي يخرج بموجب الشرع وأمر الله خاصمين منها الخُمس، علي أن يحدد منها لبعض الأماكن العشر وللبعض الآخر نصف العشر كما أمرت الشريعة.

ويُعد نموذجا (لصك) يُوقع عليه، على أن يمنح كل شخص نسخة من هذا النموذج كأشارته المباركة، وليصل بهذا الأمر إلى الأطراف والنواحي والقصبات ليصبح جميع المسلمين سعداء مسرورين، ويكون دعائهم سببا لدوام الدولة وثبات المملكة، وحتى يقلعوا عن المحدثات العظيمة غير الجائزة شرعا، فقد قال الرسول ﷺ: (خير الأمور اوسطها وشر الأمور محدثاتها).. وتعريف المحدث هو: الشخص الذي ينساق لهوى النفس ضد الشرع ومن الجائز أنه لم يسبقه إلى مثله أحد. وعلى نفس النسق فإن من اقام حكم الشرع وأقام السنة المشروعة إقامة طيبة -كما قال الرسولﷺ: (من سن سنة حسنة فله أجرها واجر من عمل بها إلى يوم القيامة، ومن سن سنة سيئة فله وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة) ...

كذلك أمر أن تبقى على حالها بقية النفقات والأجور الشهرية التى تنفق للمستحقين من أهل العلم والفقه والقراءة والزهد والمصلحين. وأمر بأن يخرج للمستحقين مبلغ كبير من الذهب والغلة من املاكه الخاصة، وأن يتصدق بمبلغ آخر من الذهب إلى المستحقين والدراويش والأرامل واليتامى. وأقام بداية أمره على الخير حتي يبقى خالدا و باقيا على مر السنين إن شاء الله تعالى.

وصار جميع الأتراك مرتفعى الهامة ومسرورين بهذه الخصال الحميدة وبالسلطنة والتوفيق، وكانوا في قمة الرفعة والإقبال، وتفاخرت وتباهت ارجاء التركستان بهذه الموهبه والمملكة.

ومن ناحية أخرى فلم يكن لدي صنف قط من جماعة الكفر؛ يكون قد تحلي بالإسلام بعد الكفر؛ ما يقتل في قلبه مشاعره تجاه بيته وامه وابيه واقاربه، وكثيرا ما كان يبقى مدة حتى يتواءم قلبه مع المسلمين وغالبا ما يرتد ويعود للكفر مرة أخري إلا جماعة الترك التي إذا ما اسلمت تواءمت مع المسلمين، فلاتذكر كثيرا البيت أو الموطن والأقرباء. ولم يشر أحد قط إلى أن الترك قد رجعوا عن الإسلام وارتدوا وعادوا للكفر.

سـؤال

من ناحية أخرى، إذا ماسأل شخص: ما هو الدليل على أن العز والدولة هبة من نصيب الأتراك؟

جـواب

يعلم أهل العالم أن كل جنس من أصناف الخلق يكون عزيزا ومكرما بين أهله وعشيرته وبلده، وحينما يكون في الغربة ويسكن ولاية اجنبية يصبح ضعيفا ذليلا ومهيضا؛ إلا جماعة الترك فإن حالهم علي عكس ذلك، فحينما يكونون وسط اقرباءهم وولاياتهم يكونون قلة بين اعداد الترك (الكثيرة) ويكونون في شدة العجز غير ظاهرين، وحينما يخرجون من ولايتهم إلى المسلمين، ومهما كانوا بعيدين عن بيوتهم واقرباءهم وولايتهم؛ يزداد قدرهم وقيمتهم ومكانتهم ويصبحون امراء وقواد جيش.

شئ آخر، منذ آدم عليه السلام وحتى الآن لم يصبح عبد مبتاع بالدراهم ملكاً إلا الترك. ومن أمثال وحكم أفراسياب -وقد كان ملكاً تركيا وكان تام العقل، صائب الرأى وجم المعرفة إلى أقصى حد- المثل القائل: إن الترك مثل الدر المكنون بالصدف والبحر، فإذا ما استخرج الصدف من البحر أصبح له سعر وقيمة وأصبح زينة تاج الملوك وحلية وزينة في جيد وآذان العرائس.

وإذا لم يكن للأتراك درجة وشرف ومنزلة قط؛ فكفى فخرا ومباهاه أن ملك الإسلام عز نصره تركى، ولهذا السبب يرجح الترك والتركستان على أهل العالم. فليهب الله تعالى دائما لملك الإسلام من العز والأقبال والدولة والعمر والملك والسلطنة مايليق به.

وليس فقط هذه الخصال الفاضلة والأخلاق الحميدة بل هناك عدة آداب ومحاسن أخري ترجح وتفضل ويتباهى بها الأتراك على أهل العالم، الأولى : أنه لاتوجد ممالك قط علي وجه الأرض أكبر واعرض وابسط من ولاية تركستان. فحدود ولايتهم من جهة المشرق(الصين، ومن جهة المغرب يتصل حد التركستان بالروم، ومن جهة الشمال يحد تركستان سد يأجوج ومأجوج، ومن جهة الجنوب جبال الهند التى تمطر ثلجا، وهذه هى حدود التركستان التى ذكرتها.

وتنتج التركستان أشياء عجيبة وطريفة وغريبة، تحمل إلى أطراف العالم وتباع باسعار غالية -وهي غالية جدا- مثل المسك التترى والتبتى والختني، ومثل الثياب الغالية من الخطا والصين، والحرير التركى من نوع البهرمان* والوالى** ومن الوبريات :

فراء القندز(١) الأسود، وفراء الثعلب، والفراء اليلغاريه والبرطاسيه(٢)،وفراء السمور،وريش القطا، وفراء القاقم الأبيض والسنجاب، وشعر الجاموس الهندى. ومن الأنواع

* البهرمان: نوع من الحرير الملون باللون الأحمر الياقوتى ويسمى أيضا (بهرامن).(انظر فرهنگ برهان قاطع).

** يسمى بالفارسية (واله) وهو نوع من الحرير.

(١) الكلمة في الأصل (قندوز)، وفي الفارسية الدرية (قندز)، واغلب الظن أن الكلمة التى في الأصل يغلب عليها اللهجة التى تحول الضمة إلى واو. والقندز حيوان يشبه الثعلب يصنع من فراءه القبعات ولونه أسود حتى أنه يشبه به الليل، ويشبه النهار بحيوان القاقم الأبيض. فيقال في الفارسية (قاقم آورد وقندز آورد مرادآن باشد كه روز آورد وشب آورد) (انظر برهان قاطع، ص٨٤٨، ٨٦٣).

(٢) اليلغارية والبرطاسية اسماء لمدن في التركستان بها أنواع من الثعالب جيدة الفراء لذلك اشتهرت الملابس المنتجة من أنواع الفراء هذه باسماء المدن، كما هو الحال في السجاد حينما يطلق عليه الشيرازى والأصفهانى.

الأخرى السهام وخشب التوز والمقابض الختوية(١) والكؤوس القرطاسية من نوع السقاق(٢)، وأحجار اليشم(٣) المغناطيسية، والخيل متنوعة القيمة، والجمال ذوات السنامين من النوع البختى والوحشى والتى لايوجد مثلها في العالم.

وفي التركستان ولاية يطلق عيها (تَنكُت)(٤)، كلما حُمل إليها حمولة خروار(٥) من الثياب القطنية فإنها تخرج حمولة خروار من الفضة ويعطى النصف للخان حيث أنه لايستطيع أن يذهب أحد قط إلي هناك بدون اذن خان الترك.

وفي اسفل ولاية السغد(٦) جبل يأتى ماؤه إلى سمرقند وفي هذا الجبل معدن الفضة والذهب

---

(١) ختو في الفارسية تعنى نوع من قرون البقر، وتجلب من الصين ويقال أنها قرون وحيد القرن أو الكركدن، يصنع منها مقابض السكاكين، ويروى البعض أن الختو طائر كبير الحجم يعيش في ارض خربة بين الصين وزنجبار، له قرن وهو مايصنع منه المقابض. ويقال أن هذه القرون لها خاصية اكتشاف السموم فتظهر عليها علامة إذا وضعت في طعام مسمم. ويقال أيضا أن (ختو) قرن الثعبان الذي يبلغ من العمر الف سنة، أو هو قرن لافعي أو هى اسنان حيوان (انظر برهان قاطع، ص٤٢٠).

(٢) وردت في النص (سقاق) والصحيح (سقراق) وبالتركيه (سغراق) وهي تسميه تركية لأنواع من الكؤوس على شكل القرطاس (انظر برهان قاطع).

(٣) اليشم : نوع من الحجارة له خصائص معينه ويستعمل فى منع الصواعق، ولونه أخضر وتصنع منه السبح.

(٤) تنكت :بفتح التاء الاولي وضم الكاف وتاء مثناه ، مدينة من مدن الشاش من راء سيحون ، خرج منها جماعة من أهل العلم (انظر ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، المجلد الثاني ، ص ٥٠).

(٥) خروار ، معناها الحرفي في الفارسية (حمل الحمار) ويمثل حمل الحصان أو البقرة أو البغل أو الحمار ، ونادرا ما كان يميز بوضوح بين الوقر (حمل الدابة) وحمل البعير ، اختلف وزن الخروار تبعا لعصور مختلفة ومناطق مختلفة وكان وزن الخروار الصغير في التركستان مايقابل ٨٣,٣ كيلوجرام (بالتفصيل ارجع إلي فالترهنتس ، المكاييل والأوزان ، ص ٢٧، ٢٨).

(٦) السغد: بضم اوله وسكون ثانيه وآخره دال مهمله، وتكتب أيضا الصغد، هي ناحية كثيرة المياه نضرة الأشجار، متجاوبة الأطيار، مؤنقة الرياض والأزهار ملتفه الأغصان، خضرة الجنان، تمتد مسيرة خمسة أيام، لاتقع الشمس على كثير من اراضيها ولاتبين القرى من خلال اشجارها وفيها قرى كثيرة بين بخاري وسمرقند وقصبتها سمرقند (انظر الحموى، معجم البلدان، مجلد٣، ص٢٢٢) ويذكر المقدسى أن للصغد اثنا عشر رستاقا سته منها جنوبى النهر وسته شمالها (انظر المقدسى، احسن التقاسيم، الطبعة الثانية، ص٢٦٦).

والفيروز والنفط، أيضا في هذا الجبل معدن الحديد والرصاص والزئبق والنوشادر الخالص والزاج(١) وتحمل (هذه البضائع) إلي أطراف العالم.

وفي ولاية تُغزْ غُزْ -وهي اصل الأتراك- ملك فوق سطح قصره برج ذهبي طويل جدا ومرصع بأنواع الجواهر، ويظهر هذا البرج علي بعد خمسة فراسخ وهناك طائفة في هذه الولاية تعبد هذا البرج. وكل ملك في الصين يكن له الطاعة وكذلك تكن التركستان للصين.

وفي ولاية التركستان غابة يطلقون عليها غابة لوره ورجالها متوحشون لايختلطون بأحد، والتجار الذين يذهبون إلى هناك ويحملون البضائع والأقمشة التى تعتمد عليها هذه الولاية، يضعونها في الصحراء التي يبيعون ويشترون فيها منذ قديم الزمن ثم يبتعدوا عنها، وكذلك يحضر الرجال المتوحشون اقمشتهم ويضعونها بجوار أقمشة التجار، فان كانت مقايضتهم متقاربة يضعون أمتعتهم ويحملون أمتعة التجار، وإن لم تتقارب يضعون أمتعتهم ويحملون أمتعة التجار ويضعونها بعيدة عن أقمشتهم ويبتعدون، وحينما يري التجار هذا من بعيد يذهبون يضعون شئ آخر علي القماس ويبتعدون، فيعود مرة أخرى الرجال المتوحشون فإن وجدوها متقاربة يحملون أمتعة التجار ويذهبون ويتركون أمتعتهم، وحينئذ يتجه التجار إلى هذا القماش ويحملوه، ولايدور حديث قط مع بعضهم البعض وبهذه الطريقة يتقايضون. وفي هذا المكان مقدمة غابة أخرى مليئة باشجار الفاكهة المثمرة ويسكن وسطها هؤلاء الرجال المتوحشون وهم عرايا لايرتدون الثياب وشعرهم كثيف جدا وطويل، وهم يسترون أنفسهم بهذا الشعر، وفي هذا المكان مقدمة مليئة باشجار الفاكهة المثمرة، وكلا الغابتين كثيفتين. وفي هذه الغابة نهر كجيحون ماءه شميق، يجلس جميع الرجال على إحدى ضفتيه وجميع النساء على الضفة الأخرى، وفي إحدى الليالي المعينة من العام تعبر هؤلاء النساء الماء وتذهبن بالقرب من الرجال ويصبح الكل مع بعضهم البعض، وليس لأي شخص امرأة أو زوج معين، وحسبما يريدون يتجمعون وهم وقوف ويتباشرون كالبهائم. وفي اليوم التالى تعبرن الماء

---

(١) الزاج معدن بلورى منه الأبيض والأخضر والأسود.

وتذهبن إلى اماكنهن ، ولايجوز في غير هذه الليلة من العام ان يتقدمن لرجل قط ، وإذا عبر أحد الرجال الماء وذهب إليهن فانهن يمزقونه باسنانهن واظافرهن قطعا قطعا ويقتلنه. ومعيشتهم وطعامهم ايضا من هذه الفاكهة الكثيرة ويدخرون منها من أجل الشتاء الفاكهة الجافة، ويذهبون إلي سراديب ولايخرجون منها حتى يتوقف سقوط الثلج.

وأهل التركستان يعيشون في المدن وأيضا في الغابات وكذلك في الصحراء، فمن منهم في المدن يبذرون ويزرعون ولهم حرفة وبساتين. ومن منهم في الصحراء فلهم الخيل والجمال والبقر والأغنام ومعيشتهم تعتمد على الحليب واللبن الحامض (الرائب) والزبادى واللحم، وهناك مكان قليلا ما يسقط الثلج عليه في الشتاء، وفي الصيف يكون شديد الحرارة حتى أنهم يزحفون في السراديب وأيضا تزحف الثعابين بين الناس من الحر دون أن يصاب أى شخص بأذي. وجميع التركستان من الأصقاع الباردة.

وفي التركستان حجران من خصائصهما إنه إذا وصلا ببعضهما البعض على شكل الصليب وعلوهما بدم حيض فتاة -على ان يكون أول حيضها- وجعلوه فوق خشبة بالصحراء والقوا عليه قبضة من التراب فإن الدنيا كلها تظلم، ويأخذ التراب في التساقط كالمطر. وطالما لاتنطمر تلك الأحجار ولاتغسل ولايخفى المكان؛ فان هذه الظلمة والمطر الترابى لايقلا ولاتضاء الدنيا. فإذا ماجلبوا حجرين آخرين وجعلوهما أيضا على شكل صليب ووصلوهما ببعضهما البعض ووضعوهما علي قمة خشبة في الصحراء وعلوها بدم امرأة نفساء والقوا عليه قبضة ماء فانه يتساقط الندى في التو واللحظة وترعد برعود مخيفة فاذا ما القوا وسطها بحفنة من النار فانه تظهر صاعقة مهولة وتأخذ في التوهج، وطالما ان تلك الأحجار لاتأخذ في الانطمار فان الصاعقة لاتخبو. ولدى أغلب السحرة الأساتذة هذه الأحجار. وعجائب وغرائب بلاد التركستان كثيرة جدا، وهذا قدر كاف حتى لايطول الكتاب.

واغلب أهل الخزر(١) من اليهود، يأتون شتاء إلى المدن ويذهبون للصحراء في الصيف ولديهم البذور والمزارع والمواشي. والروس يعيشون في الجزر وليس لهم في البذر والزرع ودائمايغيرون(٢) ويأخذون الأسرى من الصقالبة ويبيعونهم ويستولون على البضائع والغلة بالغارات المتوالية ويعيشون حياتهم علي هذا. وكل ولد يولد يعلقون علي كتفه سيف لانه حينما يكبر سيكون رزقه من هذا.

وطائفة منهم يحرقون الموتى، وطائفة أخري منهم يدفنونهم في القبور.

وأهل التركستان من غير المسلمين ثلاث مجموعات. اليهود، والمسيحيون، والمجوس وعبدة الأصنام، واغلبهم يعرفون ذات حضرة الباري عز اسمه، والرسل، وكل من يجب أن يتبعوه؛يعلمونهم جميعا ولو أنهم لايتبعونهم، فان كانوا لايعرفونهم فانهم لايعلمون اسماءهم.

فمثلا يطلقون علي الرب عز اسمه (تنكرى)،
والملك يطلقون عليه (ايدى والغ تنكرى) ،
والله يطلقون عليه (بيات)،
والرسول (يلامج)،
والنبى (ساقچى)،
والدنيا (بوأژون)،
والآخرة (اول اژون)،
ويوم القيامة (الغ كون اي) اليوم العظيم،
والجنة (اوچماق و اوچماخ)،

---

(١) الخزر: بالتحريك وآخره راء، هي بلاد الترك خلف باب الأبواب المعروف بالدربند قريب من سد ذي القرنين. وهو اسم اقليم من قصبة تسمى إتل، وإتل اسم النهر يجرى إلي الخزر من الروس والبلغار. ملكهم يسمى يلك وباك، وهويهودى وكذلك خاصته، بها مسلمون ونصارى وفيهم عبدة الأوثان، والغالب علي اخلاقهم اخلاق اهل الاوثان. ولسان الخزر غير لسان الترك والفارسية ولايشاركه لسان فريق من الامم. (ياقوت الحموى، معجم البلدان، ج٢، ص٣٦٧، ٣٦٨).

(٢) الفعل في الأصل (بنازند) بمعنى يتفاخرون او يتدللون، من الفعل نازيدن، ولاتستقيم الجمله مع هذا الفعل، والصحيح (بتازند) من الفعل (تاختن، تازيدن) بمعني يغير او يهجم، فالعبارة بذلك تستقيم.

والنار (جموخ وتموغ)،

والجنان الثمانية (سكيز اوچماخ)،

والنيران السبع (يني تموغ)،

والحساب (ساقيش)،

والمقصود انه لايجب ان يتبعوا الأشرار وليعلموا أنهم كفار التركستان. ثم أن هناك عدة أشياء أخرى هم بها يرجحون علي سائر الناس، أحداها انه لايوجد بعد اللغة العربية اي عبارات ولغة هي أفضل وذات هيبه من اللغة التركية. والآن فان رغبة الناس في اللغة التركية تزداد ويرجع السبب في ذلك إلى أنه في العصور الأولي كان أكثر الأمراء وقواد الجيش من الأتراك وكانت الدولة معهم، والنعمة والذهب والفضة بايديهم وجميع الخلق في حاجة إلى هذا.

وكان ذوي العراقة والكبراء وابناء الكبراء في خدمة الاتراك، وكانوا في بحبوحة ورفعة وحرمه.

شئ آخر، كان الأتراك يعرفون الكتابة والخط والسحر والنجوم، وكانوا يعلمون الأبناء الخط. وخطهم على نوعين أحدهما السغدى(١) والآخر التغزغزى(٢).

أما السغدى فان حروفه ليست أكثر من خمس وعشرين، وهناك ثلاثة حروف ليست في حروفهم الضاد والظاء والغين، ويكتبون من اليمين لليسار واغلب حروفهم لاتتصل ببعضها البعض وشكل حروفهم كالتالى:

---

(١) الخط السغدى أو الصغدى، استعمله الأتراك بعد دخولهم في الإسلام، وعرف باسم الكتابة الأويغوريه، وكان للصغد خط أهمل بعد دخولهم الإسلام واستعملوا بدلا منه الحروف العربية، وفي قرون تالية استبدل الخط الأويغورى بالخط الاورخوني (انظر بارتولد، تاريخ الترك في اسيا الوسطي، ترجمة احمد السعيد سليمان، القاهرة ص٤٩).

(٢) التغزغز أو طوقوز -اوغوز وكانوا يسكنون الأراضى من شرقى فرغانه وحتي حدود الصين. (بارتولد، تاريخ الترك، ص٥٠)

ا ب ج د هـ و ز ح ط ى ك ل م ن س ع ف ص ق ر ش ت
ث خ ذ

وتلفظ حروفهم بزيادة ألف علي هذا النحو:

آ با جا دا ها وا زا حا طا يا كا لا ما نا سا عا[١] فا صا
قا را شا تا ثا خا ذا.

وهذه الحروف ليست في حاجة إلى ترجمة فالفروق بينها ظاهرة وأكثر هذه الكتابة لاتتصل ببعضها البعض، ويكتب اسم الله تعالى على هذا النحو (كه عس وعب).

والخط التغزغزى والكتابة باسم الله وحروفها في مجموعها تأتي على ثمانية وعشرون حرفا وتكتب من اليمين لليسار، ولاتتصل ببعضها البعض، وشكل حروفهم علي هذه الصورة التى كنت قد كتبتها وعلى هذا الترتيب:

ا ب ت ث ج ح خ د ذ ر ز س ش ص ض ط ظ ع غ
ف ق ك ل م ن هـ و لا ى[٢]

وهكذا يكتبون : بسم الله الرحمن الرحيم

---

(١) وردت في الأصل (غا) والصحيح (عا) كما اثبتها، حيث أورد المؤلف في السطور السابقة أن حرف الغين ليس في الأبجدية السغدية (المترجمة).

(٢) مجموع الحروف الواردة تسعة وعشرون حرفا في حين ان مباركشاه قد ذكر أن حروف هذا الخط ثمانية وعشرون حرفا، ومن الواضح أن الناسخ قد وضع حرف (لا) زائدا علي هذه الأبجدية (المترجمة).

والاتراك يعرفون النظم أيضا من القصيدة والرباعى، وقد أوردتُ رباعية حتى يعرف الوزن والمعني.

بيت

وعده بيروسن نواجون كلماس سن

سوز يلغانى نى مانينك بيلا قويماس سن

ومعناه [عن الفارسية]:

- حينما تعدنى أيها الحبيب: لماذ لاتأتى؟!، فأمامى تقول كذبا سآتى وكثيرا مالاتأتى.

يوزونك كون وساج تون قرا كورما سى سن

عشقينكدا قرار سيز اي عجب بيلماس سن(١)

- وجهك النهار؛ أما الشعر فمثل ظلام الليل، وانا في عشقك لايقر لي قرار لا بالليل ولا بالنهار.

ولأهل الخزر خط أيضا وينسب هذا الخط للروس، وتكتب طائفة من الروم تعيش بالقرب منهم بهذا الخط، ويطلق عليهم الروم الروس. ويكتب من اليسار لليمين، ولاتتصل حروفهم ببعضها البعض، وحروفهم لاتزيد على إحدى وعشرين حرفا(٢) على هذا النحو:

---

(١) ترجم مباركشاه هذه الرباعية في الأصل إلى الفارسية، وترجمت هنا عن الفارسية، وقد اتفقت الترجمة بين الفارسية والتركية في الشطرات الثلاث الأولى، أما الشطرة الرابعة فقد حدث بها اختلاف طفيف وترجمتها عن التركية كالتالي: لاأعلم باللعجب لماذا ليس لى قرارا في عشقك.(المترجمة).

(٢) ذكر مباركشاه ان حروف اهل الخزر احدى وعشرين حرفا في حين اثبت هنا اثنين وعشرين حرفا. أما الأبجدية الروسية الآن فهي في مجموعها ثلاث وثلاثون حرفا، حروف الهجاء الساكنة منها إحدى وعشرين حرفا، وحروف المد ستة حروف، واصوات المد أربعة، وحرفان لايرمزان لأى صوت، والروسية تكتب من اليسار لليمين، (انظر: اركاديفيا وآخرون، اللغة الروسية، القسم الأول، موسكو، ١٩٦٤، ص٩،٧).

ث ت ش ر ق ف ع س ن م ل ك ي ط ح ز و هـ د
ج ب أ

وأكثر هذه الطائفة من أهل الخزر والتي تكتب هذا الخط من اليهود.

وللأتراك قبائل جم كثيرة، واغلبها تعيش في الصحارى ولها خيم كبيرة وهم لايقيمون في مكان واحد بسبب المواشي إلا شتاء إذا ما امطرت ثلجا في الصحراء. وإذا ما اراد احد ان يعرف جميع القبائل فهذا أمر ليس باليسير، أما تلك المعروفة حقا فنذكر من كل واحدة بضعة قبائل، وأسماءها كالتالى :

ترك، يمك، قيرقيز، قرلخ، چكل(١)، اثمر(٢)، خرلخ، قنق(٣)، ياغى، سالوك(٤)، خلج(٥)، اغز(٦)، خطا، غاى، اورس(٧)، قى(٨)، اوران، نحسى(٩)، تبت، قراتبت، صقلاى(١٠)، كمجى (١١)، كيماك، خزر، قراخزر، خفجاق، التي كجات(١٢)، بجنك(١٣)، اغول(١٤)،

(١) چكل (بكسر اوله)
(٢) اثمر (بفتح اوله وسكون ثانيه ثم ضمه)
(٣) قنق (بكسر اوله وثانيه ثم سكون).
(٤) سالوك (بفتح اوله وضم اللام وسكون الكاف).
(٥) خلج (بضم اوله).
(٦) اغز (بضم اوله وثانيه).
(٧) اورس (بضم اوله).
(٨) قى (بفتح اوله)
(٩) نحسى (بضم اوله)
(١٠) صقلاى (بضم اوله)
(١١) كمجى (بكسر اوله).
(١٢) التى كجات (بضم الكاف).
(١٣) بجنك (بكسر اوله وثانيه).
(١٤) اغول (بضم الغين).

ستق(١)، سوتق(٢)، تتار، قراتتار، قنقلي(٣)، بارغو(٤)، غز، قراغور، تغزغز، يغما، اراكن(٥)، قيق(٦)، صلغر(٧)، يزغز(٨)، روكر(٩)، باينلر(١٠)، الايندليق(١١)، اغور(١٢)،تغرق(١٣)، بيات(١٤)، توترغادوجيران(١٥)، سويق(١٦)، يباغو(١٧)، افشار، بكرز(١٨)، بكدلي(١٩)، اقبا(٢٠)، اتقوق، لعزترا(٢١)، ارل(٢٢)، لرتلك(٢٣)، باسميل(٢٤)، ال برسخان.

---

(١) ستق (بفتح اوله وكسر ثانيه).

(٢) سوتق (بضم اوله وثالثه)

(٣) قنقلي (بكسر اوله وثالثه).

(٤) بارغو (بفتح اوله)

(٥) اراكن (بفتح الراء والكاف)

(٦) قيق (بفتح اوله وسكون الثالث)

(٧) صلغر (بفتح اوله وسكون اللام وكسرالغين)

(٨) يزغز (بفتح الزاى وسكون الغين).

(٩) روكر (بضم الراء والكاف).

(١٠) باينلر (بضم الدال).

(١١) الأيندليق (بضم الدال)

(١٢) اغور(بضم الألف)

(١٣) تغرق (بضم اوله)

(١٤) بيات (بفتح اوله)

(١٥) توتر غادوجيران (بضم الاول والثالث وفتح الغين)

(١٦) سويق (بضم اوله).

(١٧) يباغو(بفتح اوله وضم الغين)

(١٨) بكرز (بكسر الراء)

(١٩) بكدلي (بفتح اوله وسكون ثانيه وفتح ثالثه)

(٢٠) اقبا(بكسر اوله)

(٢١) لعزترا (بضم اوله وثانيه)

(٢٢) ارل (بضم اوله وثانيه).

(٢٣) لرتلك (بفتح اوله وكسر ثالثه).

(٢٤) باسميل (بفتح اوله وكسر ثالثه).

وقد أوردت خصائص الأشياء وغريبها وشرح رسوم ولاية التركستان حتى يعلم العالم أن الأتراك يتفوقون على سائر الطوائف بهذه الخصائص، ولنفس هذا السبب جئت باسماء قبائل التركان، حتى إذا ما علمت جميع القبائل بالمحاسن والمحامد والخصال الحميدة والأخلاق الفاضلة لهذا الملك العادل الغازى المجاهد الكريم عز نصره، خروا خاضعين واتوا راغبين لخدمة هذا العرش المعظم والذي هو قبلة فقراء العالم، وبذا ينالون شرف تقبيل اليد وتضوى التيون بجماله الملكى حتى يقال : إن شمس السعادة تسطع من جبينه المبارك، والقمر المضئ يتلألأ في وجناته الجميلة، كما قال الشاعر:

شعر

الشمس تطلع من اسره وجه   والبدر يطلع من خلال قبائه

ومن الواجب على جميع ملوك التركستان ان يزعنوا له؛ ويكونون في خدمة عرش هذا الملك المعظم، ويجعلوا من عتبته المباركة وسدة قصره الملكى وعرشه الميمون وسادتهم، ويتفاخرون بالتشريف والأبهة والإنعام والاهتمام على جميع ملوك العالم. وليعلموا هم انفسهم أنه من حيث الشجاعة والحصافة والمبارزة والرجولة قد وصل إلى حد انه إذا كان رستم مازال حيا ما وجد شئ يتفاخر به غير غطاء سرجه، وإن كان اسفنديار على قيد الحياة ماوجد شئ يتباهى به غير ركاب فرسه، وسيروا بأنفسهم أنه إذا دخل ملك الإسلام في ميدان معركة قد اصطف فيها ابطال مغاوير وغزاة فاتحين وملوك منتصرين وفدائيين يسلبون الروح؛ لدخلها وتقابل مع الخصم. وإذا يُرد فبالسيف الشهير يجعل الجسد الواحد جسدين، وإذ يرغب فبالأمرالملكى المعروف يجعل الجسدين جسد واحد.

وإذا ما تناول بلطه الحرب فمن الجائز انه لايشر الآن بان تفصل رأس العدو عن الجسد إلى نصفين، كما يقول الشاعر :

بيت

- إن خيال سيفك في محيطك مشرع، يقصم عدو الدولة والدين من وسطه نصفين.

رباعی

- إن سهم خسرو الذي يطلقه في الليل البهيم، يرشق صدر النملة وعين الثعبان.

- وإذا ما أراد تصويب نفس السهم مرة ثانية، لأصاب سن السهم -في المرة الثانية- ثقب الأبرة.

وإذا ما تشكل ذنب الحية في صورة ثعبان ، لاتخذ كفه المبارك هيئة موسى حتى انه ليحل بطرف سنانه الشعرة المنعقدة. وإذا كرّ علي الخصم - وكان كأنه الجبل الثقيل- لحمله وكأنه حمل من التبن الخفيف. وإذا ما امسك الرمح بيده وهجم على الخصم -وإن كان مثل الصخرة- لاصبح في يده كذرة غبار. وإذا ما أمسك بالصولجان فكأنما استبدل كرة اللعب بالكرة الأرضية والقاها من إيران إلى توران. وإذا ما امتطى خصم مطيه كالبراق -وإن كانت كالريح الصرصر- فإنه يصيده بشبكته من اول رميه، وله مائة ألف طريقة أخري في اللعب والمهارات، مثلما يقول الشاعر:

بيت

- قد تهيأ هو للحصول على الملك، وبالقوس يريد أن يفتح المستحيلا.

- داعيا لله ، لتكن آثاره حتى القيامة باقية، فالدين والدولة به قد اثريا.

وحينما كان يحاصر كل قلعة حصينة في بلاد الهند - وإن كانت نموذجا في الاستحكام والمناعة - ومهما ارهق من حرارة الجو وثقل السلاح، فانه يمضى الأيام شاكى السلاح مرتديا الترس والمنجنيق حتى يفتحها ويخلع الحاشية وقائد القلعة المعين هناك.

وهو يهب سخاءا وبذلا وعطاءا إلى حد أنه إن كان حاتم الطائى ومعن بن زائده وكعب بن امامه وخالد القصرى -وهم من اسخياء العالم ويضرب بهم المثل في السخاء- إن كانوا أحياء لم يزيدوا عن كونهم سائلين لهذه الأعتاب الرفيعة، ولقنعوا بالفتات المتساقط من مائدته الخاصة، حيث أن كل سخاء هؤلاء على امتداد اعمارهم والذي اشتهرت به اسماءهم، لايزيد عن كونه صلة واحدة

للملك العادل الباذل عز نصره ولاكانت ولن تكون ولاستكون، كما يقول الشاعر:

بيت

-يثبت في المعركة، ويهب في المسرة، وبالفروسية يحصل على الملك، اما الدنيا فبطلبها.

وأسس في عصره عرسوم (پيل)(١)، وقانون (لك)(٢)، وسن منحة (الپيلوار)(٣) الذهبية. ولم يشار لأحد في اى تاريخ أو أخبار أو حكايات او سمر قط بمثل هذه الصلة، إلا حينما قال الفرخى الشاعر قصيدة مدح في السلطان الماضى يمين الدولة محمود بن سبكتكين الغازى -نور الله قبرهما- في فتح سومنات والأعمال التي حدثت في هذا السفر من غزوات وغير ذلك، وكانت هذه القصيدة الغراء الغاية والشاهد وسرّ بها السلطان يمين الدولة محمود رحمه الله، ومنح الفرخي حمل فيل ذهبا، وبعد هذا لم يسمع أحد بمثل هذه الحكاية ولم يشر إليها. أما عطاياه الأخري من ذهب وخيل وتشريفات وانعامات فهى تعد من اقل مبراته وصلاته ، إذا ما تحولت جميع جبال العالم ذهباً فهى فى نظر همة وسخاء ملك الأسلام لا تساوى اكثر من وزن ذرة .

وإذا ما استعرضنا لمحة من عدله وقسطاسه فأنها تصل لدرجة أنه إن كان انوشيروان مازال حياً لاستتر خلف حجاب خجلا، واقتنع حاجبه وتباهى بذلك .

واحدى دلائل عدل الملك العادل الغازى المؤيد المنصور المظفر هى انه لم يقتل مسلم قط على يده خلال مدة حكمه - ليبقيها الله دائمة لسنين عديدة -، ولم يأمر بقتل او يوافق على اراقة دم مسلم إلا إذا كان قد أرتكب جرما عظيما وجناية قوية واعتقد فى ان الملوك قد يتغاضوا عن هذا الأمر من أجل مصلحة الملك والرعية، وأمر باتباع سياسة بليغه لا تجيز شىء إلا الدين وخشية الله

---

(١) هى منحة ملكية تحمل على فيل إلى المهدى إليه.

(٢) (لك) في الفارسية تعنى مائة الف.

(٣) هى وزن حمل الفيل ذهبا وتسمى في الفارسية (پيلوار).

وعفا عن المجرمين والخونه ووهبهم الحياة، وليس هناك خصال طيبه للأمراء والملوك أفضل من هذا؛ فكثير من الملوك يأمرون بالقتل وحينما يهدأ غضبهم يندمون ويتأسفون حيث لا ينفع الأسف . فليس هناك رجولة وحكمة أفضل من كبح جماح الغضب خاصة للملوك الموصوفون بأنهم جازمي ومطلقي ونافذى الأمر؛ فبأمر واحد منهم يفقد كثيرون ارواحهم، وليس هناك عرض اقوى فى جوهر النفس الأنسانيه من الغضب خاصة للملوك والذين قال فى حقهم الرسول علية السلام :(إذا استشاط السلطان تسلط الشيطان) ....فأن افعالهم تُعرض المسلمين للهلاك، ومن أجل هذا عليهم قهر الشيطان حتى لا يصل لمراده، وعليهم ان يحلوا محله أمر الله عز اسمه كما اوضح فى القرآن الكريم بقوله تعالى : (والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين) (١) .... وقد قال الرسول عليه السلام : (من كظم غيظاً وهو يقدر على انفاذه ملأ الله تعالى قلبه امنا وايماناً) ....

وفى هذه الخصال الحميده والأخلاق العالية مقابلة بالخلفاء الراشدين والأئمة المهديين وكل من يقابل سيرتهم وسنتهم يكون فى الدنيا موفق وطيب الصيت وفى الأخرة منعم وسعيد . فاذا تمسك بالسخاء والبذل فهو يقابل أمير المؤمنين أبى بكر الصديق رضى الله تعالى عنه . فان الصديق الأكبر كان يملك اربعين ألف دينار كرأس مال يتاجر ويتكسب منها، وحينما جاء الأسلام بذل جميع ماله فى مصالح وخدمة الرسول عليه السلام حتى انه لم يبق من هذا المال ولو القليل الذى يشترى به لنفسه ثوب جديد، وكان له بساط قديم بال فوضعه على كتفه واحكمه بسيخ وجاء إلى خدمة الرسول عليه السلام، وعرف الرسول ما هو الحال فرق قلبه المبارك على أبى بكر وقال : كيف اريدعذرك يا أبا بكر؛ لقد أنفقت جميع مالك علىّ حتى أصبحت على هذا الحال فقال ابى بكر: يارسول الله وددت ان أملك مال أخر حتى ابذله فى خدمتك واعلم ان خيرى وسعادتى فى هذا .وفى اثناء هذا الحديث وصل رسول حضرة العزه؛ طاووس الملائكة جبريل عليه السلام وقد أرتدى بساط واحكمه بسيخ، فقال الرسول عليه السلام : ياأخى جبريل اى لباس هذا انك لم تأت على هذه الهيئة ابداً. قال:يارسول الله ان جميع ملائكة الملأ الاعلى ومنهم حملة العرش والكروبيين والروحانيين والسفرة

---

(١) سورة آل عمران، آية ١٣٤ .

والبرره وملائكة السماوات يوافقون ابى بكر على هذا اللباس، ويقرىء الله سبحانه وتعالى ابى بكر السلام،ويسلم عليك ويقول : قل لأبى بكر انك اخرجت جميع مالك، واصبحت فقيرا من أجل رضاى. فبكى ابى بكر رضى الله عنه كثيرا وقال : حينما نعود لحضرة العزه فأوصل الشكر والحمد والثناء وقل : والله انا بك راض، والله انا بك راض، والله انا بك راض .

وهذه الدرجة والمنزله كانت بسبب السخاء وإذا لم يكن السخاء بهذه الدرجه والمنزلة وافرة العظمه ولم تكن عند الله مقبولة وممدوحه ماطلب بالكرم الشامل والفضل والاحسان الكامل سعادة ابى بكر . والسخاء أفضل سيرة وخصال بنى آدم، يقول الرسول عليه الصلاة والسلام : (السخى فى جوار الله ورفيقه أنا، والبخيل فى النار ورفيقه ابليس) .... وفى موضع أخر يقول :

(السخاوة شجرة فى الجنه وأغصانها فى الدنيا فمن تعلق بغصن من أغصانها قادة إلى الجنه، والبخل شجرة فى جهنم وأغصانها فى الدنيا فمن تعلق بغصن من أغصانها قادة إلى النار) ....

وفى النهاية فان الله سبحانه وتعالى يغفر للعصاه والمذنبين الأسخياء اسرع من البخلاء وإن كانوا من المطيعين والزهاد والعباد .

وإذا تمسك بالعدل فهو يقابل امير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه، فقد اوضح الرسول صلى الله عليه وسلم بقوله : (عمل يوم من أمام عادل أفضل عند الله من عمل عابد سبعين عاماً ولا ترد له دعوة، وقيل للأمام العادل فى قبره : أبشر فانك رفيق محمد فى الجنه . صدق رسول الله) ....وأيضا قال الرسول عليه الصلاة والسلام : (مامن شىء اعم نفعا من رفق أمام وعدله ومامن شىء أعم ضراً من جور أمام وحقده) ....

وإذا تمسك بالدين وعدم اراقة الدماء والرفعة فهو يقابل امير المؤمنين عثمان بن عفان رضى الله عنه، لانه فى الوقت الذى كان محاصراً فيه واسير البيت لعدة أيام وله - فى الوقت نفسه-تسعمائة غلام، فقد طلب ألا يخرجوا للطعان حتى لا تقع الحرب، وقال : ان كل من يضع السلاح فقد اعتق، فوضع جميع الغلمان السلاح واصبحوا احرار، وبذلك لم يسمح بان يراق دم المسلمين على الأرض . قال : ان كل مُلك على وجه الأرض لايساوى ان يُقتل من أجله مسلم . وقد

قال الرسول عليه الصلاة والسلام : (قسمت النار على مائة جزء، تسعة وتسعون للآمر وجزء للقاتل) ....كذلك قال الرسول عليه التحيه والسلام وجاء فى القرآن والخبر (من احيا مؤمنا فكأنما احيا الناس جميعا ومن قتل مؤمنا فكأنما قتل الناس جميعا)، وهذا كلام الله عز وجل، .....

وإذا تمسك بالشجاعة والرجولة فهو يقابل امير المؤمنين على رضى الله تعالى عنه، ويقول الرسول عليه الصلاة والسلام : (ان الله تعالى يحب الشجاعة ولو على قتل حيه)-وجاء فى المثل : الشجاع محبوب ولو عند عدوه والجبان مبغوض ولو عند امه ....

بحمد الله تعالى، فان الله سبحانه وتعالى قد زيّن ملك الاسلام العادل المؤيد المظفر المنصور المجاهد-اعلى الله امره وشأنه وخلد ملكه وسلطانه-بجميع المناقب والمآثر والخصال الحميده والآداب الفاضله، وسخر لمراده الصديق والعدو . واصبح الأصدقاء مطيعون باللطف والتربيه والتدليل، وسخر الأعداء بالقهر وبالسيف الماضي، والأمر الملكى الشهير، والرمح القاهر، والسنان المهلكه، والبلطة القاصفه، والهراوة القاصمه .واستتر الكفر خوفا وهيبة منه . وعلت هامة الاسلام بشدة ساعده القوى وصلابة سيفه وهيبة سنانه وتدينه .

اللهم زد فى كل يوم دولته قوة واتساعا واجعل التوفيق دوما رفيقه والحظ مساعده والإقبال أمامه والعز قائده والظفر رفيقه والنصر طليعته والفتح جيشه وجنده، والتوفيق عنانه والحظ ركابه، والملك جليسه والعدل حرفته والورع مهنته والتضحيه خلقه والفتح عادته، ولتجعل العز والاقبال لهذه الرياسه ذات الجاه والقياده ذات الدوله مقرونه ومتصلة به، آمين يارب العالمين .

والآن رسمت خريطة التركستان حتى تكون تحت نظره المبارك .

بلاد الصين . خريطة تركستان وما وراء النهر .

(فى باقى هذه الصفحة بياض ولذلك لم ترسم فى هذه النسخه خريطة التركستان . المصحح) .

《 تم بحمد الله 》

قائمة المصادر والمراجع

أولا : المصادر والمراجع العربية :

- ابن الأثير، محمد بن محمد بن عبد الكريم
الكامل في التاريخ، الطبعة الرابعة، بيروت

- اركاديفيا وآخرون
اللغة الروسية – القسم الأول– موسكو – ١٩٦٤م

- بارتولد
١- تركستان من الفتح العربى إلى الغزو المغولى، ترجمة صلاح الدين هاشم، الكويت، ١٩٨١م.
٢- تاريخ الترك في آسيا الوسطى، ترجمة أحمد السعيد سليمان، القاهرة.

- البلا ذرى، احمد بن يحيي بن جابر
فتوح البلدان، مراجعة رضوان محمد رضوان، بيروت،، دار الكتب العلمية ١٩٨٣م.

- التركى، ملكة علي (دكتور)
السلطان الغورى غياث الدين محمد بن بهاء الدين، القاهرة، ١٩٨٧م

- الجرجانى، علي بن محمد الشريف
التعريفات، بيروت، ١٩٦٩م.

- الحموى، ياقوت شهاب الدين ابى عبد الله .
معجم البلدان، في خمسة مجلدات،

- ابن كثير، الامام الحافظ عماد الدين ابي الفدا
البداية والنهاية، في مجلدين، بيروت، ١٩٨٥م.

- الگرديزى، ابو سعيد عبد الحي بن الضحاك
زين الأخبار، في جزئين، ترجمة ا.د. عفاف السيد زيدان، القاهرة ، ١٩٨٢م.

- المسعودي ، أبو الحسن علي بن الحسين
مروج الذهب، في أربعة اجزاء، تحقيق محمد محى الدين عبد الحميد، الطبعة الخامسة، القاهرة، ١٩٧٣م.

- المقدسى
احسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، الطبعة الثانية، ليدن، ١٩٠٦م.

- هنتس، ڤالتر
المكاييل والأوزان الإسلامية، ترجمة كامل العسلى، منشورات الجامعة الأردنية، ١٩٧٠م.

ثانيا : المصادروالمراجع الفارسية :

- اسفزارى، معين الدين محمد زمچى
روضات الجنات في اوصاف مدينة هرات، باتصحيح سيد محمد كاظم امام، تهران، ١٣٣٨.

- انورى، حسن
اصطلاحات ديوانى دوره غزنوى وسلجوقى، تهران، ٢٥٣٥ش.

- بهار، محمد تقى
سبك شناسى، سه مجلد، چاپ دوم، طهران، ١٣٣٧.

- پرهان، ابن خلف التبريزي محمد حسين
فرهنگ پرهان قاطع ياقاموس العجم.

- پرويز، عباس
ديالمه وغزنويان، تهران، ١٣٣٦.

- خانلرى، پرويز ناتل
زبان شناسى وزبان فارسي، طبعه دوم، تهران، ١٣٣٦ش.

- خانلری، زهرای (کیا)
فرهنگ ادبیات فارسی دری، تهران، ١٣٤٨.

- خوند میر، غیاث الدین بن همام الدین الحسیني
حبیب السیر في اخبار افراد البشر، زیر نظر دکتر محمد دبیر سیاقي، چاپ دوم، ١٣٥٣هـ.ش.

- دهخدا، علی اکبر
لغت نامه، زیر نظر محمدمعین وسید جعفر شهیدي، تهران،١٣٥٢هـ.ش

- عوفی ، محمد
لباب الألباب، از روی چاپ اروپا که پروفسور ادوارد بروان وعلامه قزوینی تصحیح کرده اند، تصحیحات جدید بکوشش سعید نفیسي، طهران ١٣٣٥هـ.ش.

-مبارکشاه، فخر الدین
١- تاریخ مبارکشاه اندر احوال هند، بسعي وتصحیح ادوارد دنیسون روس، لندن، ١٩٢٧م.
٢- آداب الحرب والشجاعه، تصحیح احمد سهیلي خوانساری، تهران، ١٣٤٦ش.

- منهاج سراج
طبقات ناصری، دوجلد، چاپ دوم.

فهـرس الرجـال والقبـائل والبلدان

"أ"

"آ"

"ب"

"پ"

"ت"

"ص"

"ض"

"ط"

"ع"

"ن"

"هـ"

"و"

"ى"

الفهرس

كتب للمؤلفة

١) فن الملح والنوادر بين العربية والفارسية.

دراسة نقدية مقارنة نشر وتوزيع دار النهضة العربية، ١٩٩١م.

٢) ملامح شخصيتى المجنون وليلى بين الأصل العربى ومنظومة نظامى.

بحث منشور بالمجموعة التذكارية لمؤتمر نظامى الكنجوى بتبريز. إيران.

تحت الطبع :

المكاتبات الرشيدية - دراسة وترجمة

رقم الإيداع

١٩٩١/٩٥٧٤

مطبعة الأخوة الأشقاء
لطباعة الأوفست والتجليد
وتصوير الرسائل العلمية

٢٦ ش عبد الله حافظ متفرع من ش
مركز شباب الأميرية بمرسى خليل بالزيتون ت : ٢٥٩٧٢٢١